المملكة المغربية
إن هذه أمتكم أمة واحدة
15th C.H. — 15es.H.
القرن ١٥ هـ
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مراكش • دورة القاضي عياض
13-14-15 جمادى الأولى 1401 / 20-21-22 مارس 1981

ندوة الإمام مالك
إمام دار الهجرة

دورة القاضي عياض

الجزء الثالث

مراكش
13-14-15 جمادى الأولى 1401
20-21-22 مـــارس 1981

ندوة الإمام مالك
إمام دار الهجرة

دورة القاضي عياض

الجزء الثالث

مراكش

13-14-15 جمادى الأولى 1401

20-21-22 مــــارس 1981

بسم الله الرحمن الرحيم «وسلام على عباده الذين اصطفى»

مشارق الأنوار للقاضي عياض
مبحث في التوثيق

مدخل

تلقيت الدعوة الكريمة لهذه الندوة وأنا في شغل بكتاب (مشارق الأنوار للقاضي عياض) يشدني إليه منذ عرفته.

صحبتي للقاضي عياض متصلة منذ وعيت. فقد كان لي من ذخائر تراثه مدد لكل مرحلة من عمري الطويل : في صباي الغض. كان كتابه (الشفاء) المبارك. يتلى بدارنا في مجالس الذكر. زادا لوجداننا وريا لقلوبنا وأرواحنا. وفي مرحلة الطلب. اتصلت به من قرب في قراءتي على والدي العارف بالله العالم القدوة. رضي الله عنه. صحيح مسلم وما عليه من شرح شيخ الاسلام النووي. العامر بإكمال القاضي عياض. ثم في صحبتي لشيخي الإمام الأستاذ أمين الخولي. نضر الله وجهه. أقرأ عليه فيما جمعه من مصادر ترجمته المحررة للإمام مالك رضي الله عنه. ومنها كان كتاب ترتيب المدارك. في مخطوط منه استعاره الاستاذي من صديقه الحاج بنشقرون. نزيل القاهرة.

وألفت بعد ذلك أن ألقى القاضي عياضا فقيها اماما وحافظا نظارا ومصنفا ومعلما قدوة. فيما أدرس مع أبنائي طلاب الدراسات العليا بالقرويين. من الحديث وعلومه. وما نحقق من ذخائر تراثه.

من هذه الذخائر (مقدمة ابن الصلاح لعلوم الحديث) حيث مرت بي. أثناء تحقيقها. نقول في متنها عن القاضي عياض. وحواش وطرر ثمينة من اكماله والماعه ومشارق أنواره. عمرت بها هوامش المخطوط الذي اعتمدته أصلا للنص المحقق. وأجدت علي في فهم مسائل دقيقة من فقه الحديث. اضافة الى ما قرأته فيها للجلة من شراح كتاب ابن الصلاح.

والتمست سعة من الوقت فقرأت (مشارق الأنوار) فكأني اهتديت إلى كنز ثمين مضنون به على أهل العلم في هذا الزمان.

وتوثقت صحبتي للقاضي عياض فيه. فكتبت عنه في الموسم الماضي بحثا لمجلة المناهل الغراء. طال حتى شغل منها نحو مائة صفحة. وما استطعت مع ذلك أن أقدم فيه سوى قبس فحسب. من مشارق الأنوار.

اليوم أصل ما انقطع من حديثي عن المشارق. وأنا مرهفة الحس بقربي من القاضي عياض في مثواه. أتمثل طيفه النبيل المهيب بيننا ونحن نحتشد للاحتفال بذكراه. فيأخذني الخشوع إذ أتحدث عن ـ مشارقه في حماه. وانما أقبس من أنواره وأرفع إليه نجواي :

عياض. لك الخيرات أطلعت للورى	مشارق أنوار الهدى بالمغــــارب
فجد لي بنور من سناك يحوطنــــي	فأسرى وحبلي في الدجى فوق غاربي

ماذا عساي أن أقدم إليه. وعنه. في هذا الحفل المشهود. سوى تجردي فيما بقي لي من ثمالة العمر. لخدمة كتابه الجليل. أتقرب بها الى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام. وأقضى بها بعض ما علي لأمتي من تكاليف الجهاد في الموقع العلمي. وللقاضي عياض من حق البر والوفاء ؟

واحتشدت لخدمة المشارق بالمدخر من حصاد عمري الطويل في المدرسة الاسلامية. فجمعت جملة من المصادر ومظان المراجع. خطية ومطبوعة. عكفت في

شهور الصيف الماضي على مطالعتها. ودونت منها ما أودعته خزانتي بمصر ريثما أعود إليها. ولم يكن في حسابي أني على موعد من هذا اللقاء الحافل. في مراكش الأصلية العريقة. مثوى الأئمة السبعة الأبرار : عياض وصحبه العلماء الأولياء رضى الله عنهم.

٥ ٥ ٥

توثيق كتاب المشارق. كان له بطبيعة الحال. المكانة الأولى من الأهمية والاعتبار. ولست بمستطيعة في هذه العجالة من الوقت. الوفاء بمبحث التوثيق في غيبة أصولي ومدوناتي منها. فضلا عما لا يزال يشغلني من تقصي الوثائق واستكمال المراجعات والمقابلات.

ورأيت مع ذلك. أنني مسئولة عن تقديم ما وقفت عليه في مبحث التوثيق. تنبيها على ملابسات خطيرة حفت بكتاب المشارق ولعلها جارت عليه. وتذكيرا بما نحمل من أمانته الصعبة. وما فرطنا فيه من أمرنا.

٥ ٥ ٥

(1) المشارق، من أصل عياض إلى نسخة الطراز

الطبعة الفاسية التي بين أيدينا من كتاب المشارق. ليس فيها ذكر للأصل أو الأصول المشار إليها على هوامش الكتاب. كتبها (مصححه) دون تصريح كذلك. باسم من قام باعداد النص وتصحيحه. بتكليف من السلطان المولى حفيظ. رضى الله عنه.

حسبت أن ذلك مما يمكن الوصول إليه عندما أفرغ لمقابلة المطبوعة على المخطوطات التي في خزائننا من المشارق. ومضيت فيما كنت بسبيله من تقصي ما جاء عن المشارق في كتب القدامى والمحدثين.

٥ ٥ ٥

أول من ذكر كتاب (مشارق الأنوار للقاضي عياض) مؤلفه نفسه. بإحالته عليه في كتابه (الإلماع في تقييد الرواية وضبط السماع) في باب التصحيح والتمريض لما يظن به الخطأ في المروى. دون التجاسر على تغييره وإصلاحه. قال :

«ومن وقف على ما رسمناه من ذلك في كتابنا المسمى بمشارق الأنوار على صحاح الآثار. شهد له بصحة ما ادعيناه».

وذلك ما في خطبة المشارق.

وذكره كذلك في اجازة نقلها الشهاب المقرى في (الأزهار 349/4) من نسخة من الشفا بخط العلامة عبد الرحمن ابن القصير. أبي جعفر الأزدي الغرناطي. تلميذ القاضي عياض. عليها اجازة بخط القاضي. لتلميذه أبى محمد عبد المنعم بن أبي بكر يحيى ابن النفيس الحميري. الغرناطي. وأخيه عبد المولى وأبيه يحيى. جميع رواياته ومسموعاته ومجموعاته. وسمى منها - كتاب الشفا. وكتاب ترتيب المدارك. وكتاب بغية الرائد. وكتاب مشارق الأنوار على صحائح الآثار. وكتاب **المقاصد الحسان. وكتاب الاعلام.**

الاجازة كتبها القاضي عياض في سابع محرم من سنة 532 هـ. وهو وقتئذ بغرناطة. قاضيها فلنكن على ذكر من ذلك ونحن نتتبع مسار كتابه مشارق الانوار الذي أحال عليه في الالماع - وهو من كتبه التي قرئت عليه ورويت عنه - وذكره في ما أجاز من كتبه.

ه ه ه

بعد وفاته رحمه الله في مراكش سنة 544 هـ. كتب ابنه القاضي أبو عبد الله محمد : (التعريف) بوالده. وفي باب تواليفه رتبها في مجموعات ثلاث :

الأولى لما أكمله وقرئ عليه في حياته. ذكر منها : (الشفا.والاكمال. والتنبيهات. وترتيب المدارك ـ قال : ولم يسمعه ـ والاعلام. والالماع وشرح حديث أم زرع. وكتاب خطبه. ومعجم شيوخ ابن سكرة. والغنية).

الثانية لما تركه في مبيضاته : (كتاب مشارق الأنوار على صحيح الآثار. ستة أجزاء ضخمة. وكتاب نظم البرهان في جزء. ومسألة الأهل المشترط بينهم التزاور. في جزء.

والثالثة : لما لم يكمله. ذكر منها ستة كتب أخرها كتاب (سر السراة في اداب القضاة) قال : (رأيت هذه الترجمة بخطه. ولم أجد من هذا الكتاب شيئا ولا وقفت له على خبر).

فمن الذي أخرج كتاب المشارق من مبيضته التي تركها القاضي عياض في ستة أجزاء ضخمة. كما قدرها ولده ؟

الشهاب المقرى في روضة النسرين من كتابه (الأزهار : 345/4) نقل ما في (التعريف) عن كتاب مشارق الأنوار. وعقب عليه بقوله :

«وهو من أجل الدواوين وأنفعها. ويقال ان القاضي أبا الفضل توفي ولم يخرجها من مبيضاتها. فخرجها بعده الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز».

تتبعت هذه المقولة المرسلة وبصيغة تنم عن الشك أو التوقف ـ فلم أجد في ترجمة أبى عبد الله محمد بن سعيد الطراز الغرناطي بالتكملة (659/2) اشارة الى مشارق الأنوار أو عمله فيها. غير أني وجدت المؤرخ الثبت الثقة «ابن عبد الملك المراكشي» قال في ترجمة الحافظ أبي عبد الله الطراز. بالذيل والتكملة (210/6) :

«وكان شديد العناية بشأن الرواية كثير الاهتمام بلقاء حملة العلم، ممن أطال الرحلة في طلبه بالأندلس والعدوة، ضابطا لما قيد وروى، ثقة فيما يحدث به، من أبرع الناس خطا وأنبلهم تقييدا، حافظا للحديث عارفا رجاله، ذا حظ صالح من الأدب وعلوم اللسان والتاريخ، فصيحا بليغا، وقد تقدم في رسم أبي إسحاق بن قرقول، ذكر أثره الكريم وعمله النافع في الافادة بتصحيح مشارق الأنوار من مصنفات القاضي أبي الفضل عياض، فراجعه ان شئت».

وشئت أن أراجع ما في رسم ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف «فأسفت لوقوعه فيما لم يصل إلينا من الذيل والتكملة».

وجاء في ترجمة الطراز بالإحاطة (3 / 41) نقلا من صلة ابن الزبير، بعد الإشادة بعلمه وفضله : «وكان كاتبا نبيلا ثقة فيما روى، عدلا فيمن يرجع إليه فيما قيد وضبط لإتقانه وحذقه، كتب بخطه البارع كثيرا وترك أمهات حديثيه اعتمدها الناس بعده وعولوا عليها **وتجرد آخر عمره** إلى كتاب المشارق تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في مبيضته في أنهى درجات النسخ والادماج والإشكال واهمال الحروف... (فجد) حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، وجمع عليه أصولا حافلة وأمهات جامعة من الأغربة وكتب اللغة، فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكمل من غير أن ينقص منه حرف ولا كلمة، والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله».

• • •

الحافظ النبيل الأستاذ أبو عبد الله الطراز الغرناطي مولده باتفاق سنة 585 هـ بغرناطة، وبها توفي، أجزل الله مثوبته، في شوال سنة 645 ه، أي بعد مائة سنة وأكثر، من وفاة القاضي عياض رحمه الله، بمراكش سنة 544 هـ.

فمن أي طريق وصلت إليه مبيضة المشارق ؟

رجعت إلى مدوناتي من تجريد لتراجم تلاميذ القاضي عياض، وفيهم إثنان من شيوخ الطراز :

القاضي أبو محمد ابن الضحاك الغرناطي (606 هـ) ذكر ابن الزبير في شيوخه أبا الفضل عياض بن موسى. وفي الرواة عنه الأستاذ المحدث أبا عبد الله ابن سعيد الطراز. أجاز له إجازة عامة.

- وأبو الحسن الشقوري. علي بن أحمد بن علي بن عيسى القرطبي (536 - 610 هـ) ذكر ابن الزبير في ترجمته. في صلة الصلة : روى عن أبي الفضل عياض وحدث عنه الأستاذ المحدث أبو عبد الله الطراز.

وفيمن جردت من شيوخ الطراز كذلك. عدد غير قليل ممن رووا عن جلة من تلاميذ عياض. يذكر في تراجمهم أنهم صحبوه. ولازموه. ورووا عنه كثيرا من مؤلفاته. لكن دون تعيين لما رووه عنه. إلا فيما ندر.

كما أن من تلاميذ عياض. من صرح في تراجمهم بأنهم صحبوه في غرناطة أو أخذوا عنه بها. دون تصريح بحملهم المشارق.

ورجعت إلى ما بين أيدينا من النزر اليسير من برامج الشيوخ وفهارس المرويات والأسانيد. فوجدت عددا من مصنفات القاضي عياض. ليس المشارق من بينها.

ولفتني وجود مبيضة المشارق بغرناطة. لدى أبي عبد الله الطراز في القرن السابع للهجرة. فهل تركها القاضي عياض هناك عندما صرف عن قضائها ؟ الاحتمال غير مستبعد. يؤنس إليه أنه كتب الإجازة بالمشارق. في المحرم سنة 532. وقتئذ كان بغرناطة قاضيها. وله فيها مجالس سماع حافلة. ثم صرف عن القضاء حين (انفصاله عنها زائرا لأهله. فصرف عن قضائها وهو غير مقيم بها. في شهر رمضان المعظم سنة 532 هـ) كما ذكر ابنه في (التعريف).

وكان ما كان من ابتلائه بالفتنة. ثم استدعائه إلى مراكش. وبها توفي في جمادى الآخرة سنة 544 هـ.

وفي مثل الظروف السياسية والدينية العصيبة لحركة انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين وما امتحن به القاضي عياض فيها. لا يبعد أن يتصدى

بعض صحبه ومريديه لحماية تراثه الجليل من النازلة الجائحة، وبخاصة ما كان منه في مبيضته كمشارق الأنوار.

● ● ●

بعد نحو قرن، تجرد الأستاذ الحافظ أبو عبد الله الطراز، لإخراج الكتاب من مبيضته في غرناطة، على أصح منهج وأنبل مسلك، فرجوت أن أجد في المخطوطات المغربية من مشارق الأنوار، ما هو من أصل الطراز.

(2) المشارق في مخطوطات الرباط والقرويين :

بدأت بالاطلاع على مخطوطات الخزانة العامة بالرباط، ومنها ما هو في تجزئة اثنين، كالمطبوعة، وما هو في تجزئة ثلاثة، وأربعة، وستة، كتجزئة المبيضة، في أصل عياض. أطلت النظر في مخطوطين منها :

التي في تجزئة ستة، قطعة في 135 صفحة، مرقمة حديثا من 1 ـ 135 رقمها (97 ق).

وهي في انهي درجات البلى، ما كانت لتقرأ لولا عملية ترميم تماسكت بها.

الخط أندلسي قديم دقيق، من خط القرن السابع تقديرا، مدادها صمغي باهت، ميزت فيه عناوين الأبواب والقصول بقلم مغلظ، والمواد بمداد أحمر باهت، المتن من أولها إلى صفحة 97 تتمة للجزء الخامس، يبدأ بحرف العين والواو وما يليه من (فصل الخلاف والوهم)، وينتهي بآخر حرف السين والياء، وما بعده من فصل الخلاف والوهم، ويقابل في المطبوعة، من صفحة 126 ـ 233 من المجلد الثاني.

في صفحة 98 من المخطوط، ما نصه :

يبتدىء الجزء السادس من كتاب مشارق الأنوار على صحائح الآثار، مما يشكل من الأمهات الثلاث في المتون والأسانيد، وإيضاح ذلك بالتبيين وتجويد

التقييد. تأليف عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. فيه تقييد البقاع والأسماء والكنى من حرف السين. وحرف الشين والهاء والواو والياء. والأبواب الثلاثة التي بها التمام والختام تجاهها على اليسار من أعلى الصفحة. طرة بخط النسخة. طمست بعض كلماتها وبقي هذا المقروء منها :

«... أبي عبد الله بن .. عن الأستاذ المحدث المقيد (أبى عبد الله) بن سعيد الأنصاري. وأجازها... من ذرية الفقيه المالكي.. عيسى.. عن مؤلف (الكتاب) الإمام القاضي... المسند. فريد عصره وخاتمة علماء مصره. أبي الفضل ابن عياض رضي الله عنه... اياه جميع رواياته وتواليفه. ومن أصل أبى عبد الله بن سعيد نقلت كتابي بحضرة مسودة المؤلف التي اعتمدها ابن سعيد المذكور. وغيره وخبطوا في كثير منها عشواء وساروا في الظلام. وإن كان لهم فضل التقدم والمعول في طائفة من ... مشكلها عليهم. وسترى في كتابي هذا كثيرا مما أخلوا به وأغفلوه. وتحيروا فيه فصحفوه وغيره. وتقف عليه ظاهرا للعيان مبينا بغاية التبيان. بحسب ما هدى الله إليه وأعان عليه. قاله محمد بن الجمالي رحم الله أبويه». اهـ.

هذه إذن قطعة نادرة من مخطوط للمشارق. لروا عن الأستاذ المحدث المقيد أبى عبد الله ابن سعيد الأنصاري بسنده إلى مؤلفه الإمام القاضي أبى الفضل عياض. نقلها محمد بن الجمالي من أصل الأستاذ. بحضور مسودة المؤلف التي اعتمدها في تجزئة ستة.

أبو عبد الله ابن سعيد الأنصاري نعرفه. هو الطراز. فمن «غيره» الذين خبطوا في كثير منها عشواء. ممن تعقبهم محمد بن الجمالي. فيما أخلوا به وأغفلوه. وتحيروا فيه وصحفوه ؟

حواشيه على نسخته. مرموز لها بحروف (ز. ع. ف. ق...) وقد ضاع أول المخطوط حيث يبين صاحبه عادة. مصطلحه في الرموز على هوامش النسخة.

وحتى الآن، لم أقف على ترجمة لمحمد بن الجمالي. فقنعت مؤقتا بتلمذته لأبي عبد الله الطراز. وظفرنا بهذه القطعة النفيسة المنقولة من أصل الأستاذ بحضور مبيضة القاضي عياض. وما نبهت عليه طرته من وجود نسخ أخرى من المشارق. مشوبة بتصحيف وتحريف. وتغيير وخطأ. وذلك ما ظهرت الحاجة إليه فيما تابعت من مبحث التوثيق.

المخطوط الآخر الذي أطلت الوقوف عنده. (رقم 390 ق) كتب أعلاه فوق العنوان. بغير خطه :

ولأبي عمرو ابن الصلاح في المشارق :

مشارق الأنوار

البيت يليه العنوان في سطرين :

السفر الأول من كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار تأليف الفقيه .... رضي الله عنه.

ضرب على اسم المؤلف. مقروءا : القاضي أبي الفضل عياض. وكتب على يساره. بخط باهت مغاير لخط العنوان : تخريج ابن قرقول.

وتحته طرة بغير خط النسخة. نصها :

«الحمد لله. الذي يظهر من هذا التأليف أنه مطالع الأنوار لأبي إسحاق ابن قرقول. وهو الذي فهمه الذي ضرب على اسم القاضي عياض فوقه. وكتب الآخر يسرته. تخريج ابن قرقول. قال السخاوي : والظاهر أنه منتزع من المشارق لشيخه. مع التوقف في كونه نسبه لنفسه. وابن قرقول هو تلميذ القاضي عياض مؤلف المشارق» أهـ.

وقفت حيال هذه الطرة. يساورني إحساس بالقلق والحيرة. قبل أن أتابع النظر في المخطوط. الخط أندلسي. من خط القرن التاسع تقريبا. وعليه من توقيعات التملك.

«الحمد لله. ثم لشيخ الإسلام سيدي محمد بن ناصر. بالشراء الصحيح من ورثة المذكور. وبه كتب عبد الله أحمد بن محمد الشتوكي».

وعلى آخر صفحة. بعد المتن. تقييد نصه :

تم السفر الأول بحمد الله وعونه. يتلوه في التالي إن شاء الله. قوله الزاي مع الجيم ثم تقييد سماع. يقرأ منه آخره :

بلغت (مقابلة) بالأصل.

وألقيت نظرة على خطبة المخطوط وفصول منه. فتحيرت في أمره مع الطرة المقيدة عليه. ثم أرجأت فحصه ريثما أطلع على (مطالع الأنوار) التي بدأت. من ثم. توجه إلى قضية لم تكن لي على بال.

• • •

في خزانة القرويين. أطلعت على ست مخطوطات من مشارق الأنوار. كلها من تجزئة اثنين. والموجود منها الأسفار الثواني من المشارق. دون الأول. وتقابل المجلد الثاني من المطبوعة. بدءا وانتهاء. فيما عدا المخطوط رقم (223) فمبتور من آخره. غنيت به بوجه خاص. لما عليه من طرر هامة تتعلق بالتوثيق.

خطه مغربي قديم نسبيا. ويبدوا أنه منقول من أصل نسخة الفقيه الفاسي الأديب الشاعر «أبى الحسن بن محمد الشامي الخزرجي» صاحب الشهاب المقري. نقل في مقدمته للأزهار. وفي الجزء الثالث منها. قصائد مما أنشده من شعره. وفي الجزء الرابع أبيات له في مشارق الأنوار. مما أنشدها أبا العباس المقري بفاس - وقد أرخ وفاة صاحبه الفقيه أبي الحسن. سنة 1030 في نفح الطيب (6 / 59).

أبيات أبي الحسن الشامي في المشارق، مدونة على الصفحة الأولى من مخطوط القرويين. ومعها مما في (أزهار الرياض) بيت ابن الصلاح، وبيت ابن رشيد، عليه.

وهذه صورة ما على الصفحة الأولى من المخطوط، بعد العنوان :
«كاتب هذه كلها، هو السيد أبو الحسن الشامي الخزرجي رحمه الله. وقد ذكر هذه الأبيات المكتوبة هنا مما قيل فيه :

مشارق أنوار تبدت بسبتـــــة ... وذا عجب كون المشارق بالغرب
ومرعى خصيب في جديب ربوعها ... ألا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

قال : البيت الأول لا أعرف قائله، والثاني من... ابن رشيد الفهري رحمه الله تعالى بمنه، وقلت :

فلا عجب قد صح آخر دهرنـــــا ... مشارق شمس (قد طلعن بمغـــرب)
وخصب تراب الغرب أحسن نضـــرة ... ونضرة هذا الجزء تربى على الترب

وفي معنى ذلك (أيضا) قلت :

عياض أطاعوك إذا تذكـــروا الـــ ... مشـارق من نـورك للمغـــــرب
عياض لك الخيرات أطلعـت للـورى ... مشارق أنـوار الهـدى بالمغـــارب
فجد لي بنور من سناك يحوطنبـي ... فأغدو وحبلى في الدجى فوق عاتقى
جزا الله عنا كل خيـــر ومنـــة ... عياضا بما أبدى لنا من مشـــارق
به أشرقت شمس الغريـــب بغربنـا ... فدانت له تعنو شموس المشـــارق
لقـد شهـدت حقـا جميـع المهـارق ... بما حاز من فضل كتاب المشـارق
وان هو منها في العلى وشى معصـم ... وحليـة أنـوار وتـاج المفـــارق
ونخبـة أسـرار ونجعـة قـــادم ... ونزهـة أبصـــار وأنـــس المفـارق

تليها أبيات له في الشفا.

رأيته هنا قد وثق أبياته في المشارق التي أنشدها له المقري. وترك لنا. أو ألقى علينا. المشغلة بتوثيق بيت ابن الصلاح. والأبيات المنظومة عليه مما في (الأزهار : 4 / 345) وتركته إلى حين...

٭٭٭

(3) مطالع الأنوار على صحاح الآثار - لأبي إسحاق ابن قرقول في مخطوطتي القرويين والرباط :

وعجلت إلى مطالع الأنوار لابن قرقول. فأطلعت من هذه الجولة مع المخطوطات. على السفرين الأول والثاني. منه : مخطوط القرويين (220) في 218 صفحة من قطع كبير. والخط مغربي قديم. القرن السابع ترجيحا.

السفر الأول من مطالع الأنوار لأبي إسحاق ابن قرقول من تحبيس السلطان المنصور الذهبي وعليها خطه. يليه نص التحبيس لجميع الكتاب المسمى بمطالع الأنوار. المشتمل على سفرين. المقيد هذا على أول السفر الأول منهما. ليقرأ فيه من طلبة العلم. وفرهم الله. بخزانة (السعديين) الشريفة الجديدة التي من آثارهم أيدهم الله. بقبلي جامع القرويين من فاس حرسها الله... قصدوا رضي الله عنهم وأرضاهم. بذلك وجه الله العظيم والتماس أجزل الثواب بدار النعيم. والله سبحانه يجعله من أعمالهم الصالحة المتقبلة. وفيه متأخر أرباحهم في الدار الآخرة المؤملة.

وكتب لهم أيدهم الله تعالى يد قيم الخزانة على حوزه فحازه. في شهر رجب الفرد المبارك عام تسعة وألف.

الورقة التالية لهذا التحبيس. رقمها (2)والكلام أولها موصول بضائع قبله. قدر الصفحة الأولى من طبعة المشارق.

٭٭٭

وينتهى متن هذا السفر الأول. بنص ما في آخر المتن من المجلد الأول لمطبوعة المشارق. من خلاف في نسب «سالم المهرى» في سند البخاري لحديث «ويل للأعقاب من النار» «وقد ذكره مسلم في الطرق الآخر : مولى شداد بن الهاد. غير منسوب».

يليه : كمل الأول من المطالع بحمد الله وعونه. على يد يوسف بن موسى الجمالي لنفسه ثم لمن شاء الله بعده. وذلك في ذى القعدة سنة **اثنتين وثلاثين وستمائة**. فرحم الله كاتبه وقارئه آمين يارب العالمين. يتلوه حرف النون مع الهمزة.

بعده بخط يشبه خط الناسخ ومداده. اسناد نصه :

«أما الموطأ **فحدثنا** به الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين. رحمهما الله. سماعا عليه (كذا) بقرطبة سنة سبع وخمسمائة. عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محسن بن عتاب. **وقرأت جميعه وسمعته** مرة أخرى. على الفقيه أبى إسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي. وحدثني به عن القاضي أبى أصبغ (عيسى) بن سهل. **وسمعته** على القاضي أبى عبد الله بن عيسى التميمي. إلا ما شككت فيه فأجازنيه. وحدثني بجميعه (عن) الشيخ الحافظ أبى علي الحسين بن محمد الجياني وقد كتب إلى (أبو علي) هنا في إجازته إياي. قال هو وأبو الأصبغ ابن سهل وأبو عبد الله ابن عتاب. قال...».

وانتهت هذه الصفحة الأخيرة من الكتاب. قبل أن يتم السند. نقلته بنصه. لأنه نص إسناد القاضى عياض في المشارق إلى الموطأ. رواية يحيى بن يحيى الليثى. موضعه في المشارق أول (باب ذكر أسانيدى إلى هذه الأصول) عقب خطبة الكتاب وقبل بدء متنه. انتقل هنا إلى هذه الصفحة الأخيرة من مخطوط السفر الأول من المطالع.

وسماع الموطأ في قرطبة. على أبي محمد ابن عتاب وأبي عبد الله ابن حمدين. سنة 507 هـ. وابن قرقول ولد في المرية في صفر سنة 505 هـ كما في ترجمته بتكملة ابن الأبار.

وأما سماع الموطأ وقراءته على القاضي أبي عبد الله ابن عيسى التميمي. فقد أرخ القاضي عياض في (الغنية) وفاة شيخه بسبتة في جمادى الأولى سنة 505. وابن قرقول وقتئذ في مهده بالمرية. لم يبلغ الشهر الثالث من عمره.

* *

ما بقي من خطبة المطالع. أكثرها. لا يكاد يختلف عن خطبة المشارق. إلا في تضمين فقرات بنص ألفاظ القاضي عياض. وتقديم وتأخير. وإضافة تقابل حذف فقرات هامة من خطبة المشارق. كقول القاضي عياض.

(وإذ قد اتسعنا بمقدار ما تفضل الله به وأعان عليه في شرحنا لكتاب صحيح مسلم المسمى بالإكمال. وشذت عن أبواب الحروف نكت مهمة غريبة لم تضبطها تراجمها).

إلى قوله : لا يفهم مراد الحديث إلا بالحاقها ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها).

وختم ابن قرقول خطبة مطالعه بقوله :

(وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة قدره. ويوفيه أهل الانصاف حقه. فإنه نخلت فيه معلومي وبثثته مكتومي وأودعته محفوظي ومفهومي. وسمحت فيه بمصونات الصنادق والصدور. وبمكنونات المهارق والصدور. بما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق. ولا يبوحون بسره إلا لطالبي الحقائق. ولا يرفعون راية إلا لمتلقيها باليمين. ولا يكشفون عنها غاية إلا لثقة أمين. وإلى الله ألجأ في تصحيح عملي ونيتي وإليه أبرأ من حولي وقوتي. ومنه أستمد التوفيق والهداية وإياه أسأل العصمة والوقاية. انه منعم كريم ذو فضل عظيم. وقد سميته بمطالع الأنوار على

صحايح الآثار. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإياه استعنت فهو خير معين وأقوى ظهير).

وهذا كما في ختام خطبة المشارق. كلمة بكلمة وحرفا بحرف. فيما عدا إبدال مطالع بمشارق.

وخلت الخطبة. ما بقي منها. من أى إشارة إلى القاضي عياض ومشارقه. وكذلك يمضى المتن كأنه مقطوع الصلة بالمشارق.

والمخطوط مبتور من أوله. وفيه مفتتح الكتاب. فهل في خاتمته. بالسفر الثانى ما يجلو الموقف الغامض المحير ؟

نظرت في المخطوط (369 ك) بالخزانة العامة بالرباط.

عنوانه : السفر الثانى من مطالع الأنوار على صحاح الآثار تأليف الإمام. المحدث الفقيه الحافظ أبى اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم الحمزى. هو ابن قرقول رحمه الله تعالى.

خط النسخة مشرقى قديم. يرجح أنه من خط القرن السابع. عدد صفحاتها 538 غير مرقمة في الأصل. بل ذيلت أواخر الصفحات اليمنى منها برقاص. ثم رقمت حديثا بأرقام مغربية. بالقلم الرصاص.

على وجهها تملكات ثلاثة مختلفة الخطوط غير مؤرخة. يليها بجانب خاتم الخزانة العامة بالرباط. طابع المكتبة الكتانية لمالكها عبد الحي الكتاني بفاس.

وعلى صفحات منها. تقييدات حبوس على زاوية الشيخ أبى يعزى. بخط مغربي بدوى. ومداد صمغى باهت.

على الصفحة الأخيرة منها. بخط النسخة المشرقي : «آخر المطالع. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. وكان الفراغ من نسخه على يد عبد الله وابن عبده. المستغفر من ذنبه. إدريس بن محمد بن أبى (الفرج) بن إدريس بن سفيان التنوخى الحموى عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهم بالخير. بتاريخ سادس عشرى ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستماية).

يليه بخط تعليق :

(ثم كتاب مطالع الأنوار في شرح صحيح الآثار **تأليف القاضي عياض رحمة الله عليه).**

وبخط مختلف كتب حرف (لا) فوق : تأليف. وأضيف بخط مشرقي. كأنه من خط النسخة : لا. بل هو تأليف أبى اسحاق ابراهيم بن قرقول).

على هوامش مخطوطتى القرويين والرباط. كلتيهما. كثرة من الحواشى بخط مشرقي منسوب. مميزة عما هو لحق لسقط من المتن. بكتابة كلمة حاشية فوقها. موقعة بجملة : كتبها محمد بن الموصلى..

وهو ناظم مطالع الأنوار. ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة لاعيان المئة الثامنة : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان الموصلى الأصل البعلى المولد نزيل طرابلس (الشام) ثم نزل دمشق. من شيوخه القطب اليونينى والحافظ المزى والشرف البارزى والبدر التبريزى قاضي بعلبك. مهر في الفنون وقال الشعر وصنف التصانيف. ونظم مطالع الأنوار لابن قرقول. والمنهاج في الفقه. وكتب الخط المنسوب. وتصدر بالجامع الأموى للخطابة واتجر في الكتب. توفي بطرابلس سنة (774 هـ).

كما ذكره الشمس السخاوى في (فتح المغيث) شرح ألفية العراقى لعلوم الحديث لابن الصلاح. وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون مطالع الأنوار لابن قرقول ونظم ابن الموصلي لها.

في حواشيه. بخطه المنسوب. على مخطوطتي القرويين والرباط من مطالع الأنوار. مستدركات هامة ودقيقة على المطالع «أكثرها مما جاء في مشارق الأنوار على استقامة وصواب. وفيما يستدركه عليه نقول من خط أبى عمرو ابن الصلاح على نسخته.

× × ×

من ثم، بدأت القضية تأخذ مسارا آخر متشعب الدروب بالغ التعقيد :

المطالع وصلت يقينا إلى ابن الصلاح. فهل سبقت المشارق في نسخة الطراز المجودة المتقنة ؟

وهذا الخلط بين مخطوطات الكتابين. ما دواعيه وما آثاره ؟

وما وجه القول المحكى عن السخاوى، على طرة (المخطوط 390 ق) في ابن قرقول ومطالعه ؟

(4) ابن الصلاح ومشارق الأنوار متى وصلت إليه

وأريد لافرغ أولا من مسألة ابن الصلاح والمشارق.

ما قيده الفقيه الفاسي الشاعر «أبو الحسن الشامي على مخطوط القرويين : «البيت الأول لا أعرف قائلة» يهز الثقة في وصول المشارق إلى ابن الصلاح، عند من لا يعرفون صلة له بالمشارق سوى هذا البيت السائر.

وفي الحق أنني على وثوق صلتي بحافظ المشرق الإمام تقي الدين أبي عمرو ابن الصلاح، لا أعلم أنه عانى النظم، ولا مر بي فيما قرأت له وعنه، أى بيت من الشعر أثر عنه، غير بيته في المشارق، قلما ذكرت إلا مقترنة به، بحيث صار أشبه بعنوان لها وجرى مجرى الأبيات السائرة.

والشهاب المقرى، في روضة النسرين من أزهار الرياض، ذكر في مشارق الأنوار بيت ابن الصلاح فيها، وكأنه صلة للتعريف بها، ثم عقب عليه ببيت لابن عبد المالك المراكشي، وآخر لابن رشيد، على بيت ابن الصلاح، ثم أبيات أنشده إياها معاصروه، ومنهم صاحبه أبو الحسن الشامي.

ولم يشر إلى مراجعه في أبيات من سبقوا عصره وقد وجدنا أبيات أبي الحسن الشامي على مخطوط القرويين نقلا مما كتبه بخطه.

بيت ابن عبد المالك المراكشي. وجدناه كذلك في ترجمته بأعلام التعارجي : «قال في مشارق الأنوار :

تنادى بأنوار المشارق نخـــوة   بمطلعها في الغرب يا شرق غـــرب

وأما بيت أبي عبد الله ابن رشيد الفهرى. فوجدناه أيضا في آصل مصدر له. ومعه بيت أبي عمرو ابن الصلاح.

قال ابن رشيد في رحلته. مصورة بمعهد الأبحاث بتطوان : «أنشدني شيخنا أبو الصفاء. قال آنشدني الإمام أبو عمرو ابن الصلاح لنفسه. في كتاب مشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل عياض رحمه الله. وهو أول شعر قاله :

مشارق أنوار تسنت بسبتـــــة   وذا عجب. كون المشارق بالغــرب

قلت : وسنح لي بيت ثان شفعت به وتره. وهو :

ومرعى خصيب في جديب ربوعها   الا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

وهذا البيت الذى زدته. ينظر فيه إلى قول يصف القاضي عياضا رحمه الله :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهـــم   والظلم بين العاملين قديـــــم
جعلوا مكان الراء عينا في اسمـه   كى يكتموه. وإنه معلـــــــوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتـــة   والروض حول فنائها معـــدوم»

وهذا توثيق لبيت ابن الصلالح في المشارق. فهل وصلت إليه في نسخة أبي عبد الله الطراز المصححة المتقنة ؟ ذلك يقتضي أن نعرف متى وصلت إليه المشارق.

لا خلاف أعلمه. في وفاة أبي عمرو ابن الصلاح بدمشق. في شهر ربيع الأول من سنة 643 هـ. ووفاة أبي عبد الله الطراز بغرناطة. في شوال سنة 645 هـ.

تأخر وفاة الطراز عن ابن الصلاح بسنتين ونصف سنة. لا يمنع احتمال وصول نسخته من المشارق إلى دمشق. لكن يدخل في الحساب أمران :

الأول أن الطراز تجرد آخر عمره لإخراج المشارق من مبيضتها.

والآخر : أن في مقدمة ابن الصلاح نقولا عن القاضي عياض منها ما هو بنصه في الالماع، وما هو في الإكمال، وما هو في المشارق. ثم في النوع الثالث والخمسين (معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها) أفرد ابن الصلاح القسم الثاني منه، لضبط ما في الصحيحين أو ما فيهما مع الموطأ، من ذلك على الخصوص. ختمه بقوله :

«هذه جملة لو رحل الطالب فيها لكانت رحلة رابحة إن شاء الله تعالى. ويحق على الحديثي إيداعها سويداء قلبه... وأنا في بعضها مقلد (كتاب القاضي عياض) ومعتصم بالله فيه وفي جميع أمرى. والله أعلم».

قابلت ما في هذا القسم على مشارق الأنوار، فوجدته فيها نصا. وتحرزت مع ذلك من الحكم بأن (كتاب القاضي عياض) هو المشارق، لاحتمال أن يكرر المنقول، في كتاب آخر كالاكمال مثلا. فتركت الحكم فيها لمن سبقني إلها من أئمة حفاظ السلف.

الحافظ العراقي (806 هـ) في كتابه (التقييد والإيضاح لما أبهم وأغلق من كتاب ابن الصلاح) تعقب نقول ابن الصلاح في هذا القسم بخاصة، وردها إلى (كتاب القاضي عياض : مشارق الأنوار).

وليس الحافظ العراقي، على جلالته بمعصوم من الوهم، فقد يكون ابن الصلاح والقاضي عياض، نقلا من كتب مشتركة بينهما، من المصنفات الحمدة التي يؤول إليها علماء الحديث، لكن يعين (المشارق) دون غيرها، أن يكون المنقول مما انفرد به القاضي عياض «وتابعه ابن الصلاح أو : قلده» كما صرح بذلك الحافظ العراقي في نحو عشرة مواضع من تقييده، ونقله الجلال السيوطي في تدريب الراوى.

والحافظ السخاوى (902 هـ) في فتح المغيث. شرح ألفية العراقي في علوم الحديث لا بن الصلاح. رد كذلك نقولا له عن القاضي عياض. إلى كتابه مشارق الأنوار.

وا بن الصلاح قد فرغ من تصنيف كتابه في علوم الحديث «يوم الجمعة آخر المحرم لسنة أربع وثلاثين وستماية. وأملاه يوم الأحد ثاني صفر. نقل ذلك من خط المصنف. وعلى أصل تلميذه قاضي القضاة تقي الدين ا بن رزين الحموى الشافعي. في مخطوط من الأصول التي اعتمدتها للنص الذى حققته من مقدمة ا بن الصلاح.

أى أن ا بن الصلاح كان قد فرغ من تصنيف كتابه وأملاه. قبل وفاة أبي عبد الله الطراز بغرناطة. بنحو اثنتى عشرة سنة. على أدنى الحساب.

وقد قالوا إن الطراز إنما تجرد لإخراج المشارق من المبيضة آخر عمره.

وإذا استبعدنا أن تكون المشارق وصلت إلى دمشق في نسخة الطراز قبل سنة 634. فمن المحتمل القريب أن تكون المشارق وصلت في نسخة من النسخ التي نبه ا بن الجمالي في الطرة على نسخته. على ما شابها من تصحيف وخلل.

وذلك ما نلمح أثره البعيد في موقف حفاظ المشرق. في القرن السابع للهجرة. من مشارق أنوار عياض. ومطالع ا بن قرقول التي آن لنا أن ننظر في قضيتها. والله المستعان.

(5) قضية مشارق الأنوار ومطالع ابن قرقـــول

مر بنا ما كان من لبس بين المشارق والمطالع في مخطوطاتهما بالرباط والقرويين.

والطرة على مخطوط المشارق بالرباط (390 ق) تحكى عن السخاوي قولا في ا بن قرقول ومطالعه.

التمست هذه المقولة المرسلة عن السخاوي، فوجدتها في شرح السخاوي لألفية العراقي في علوم الحديث لابن الصلاح، نقل ما في مقدمة ابن الصلاح والألفية، من كتب معتبرة في غريب الحديث، ثم أضاف إليها مصنفات جليلة فيه، على الترتيب الزمني فذكر في القرن السادس :

(ومنها كتاب المشارق للقاضي عياض المتوفى سنة 544 هـ وهو أجل كتاب جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، خصه بالموطأ والصحيحين، مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب.

(وينسب لأبى اسحاق ابن قرقول، تلميذ القاضي عياض، المتوفى سنة 569 هـ. كتاب المطالع، والظاهر أنه منتزع من المشارق لشيخه، مع التوقف في كونه نسبه لنفسه، وقد نظمه الإمام شمس الدين محمد ابن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلى، فأحسن ما شاء).

قوله في ابن قرقول : (مع التوقف في كونه نسبه لنفسه) يفيد أن اتهام ابن قرقول، بلغه عمن تكلموا فيه قبله.

والحافظ السخاوي شمس الدين عبد الرحمن بن محمد من أعيان القرن التاسع، توفي رحمه الله سنة 902 هـ ولم أقف على شيء من تكلم في ابن قرقول عند الحفاظ المشارقة قبل السخاوي، ويأتي في هذا العرض، أن أئمة منهم اعتبروا بمطالع ابن قرقول في مصادرهم، ونظمه الشمس ابن الموصلى، من حفاظ القرن الثامن، وما كانوا ليفعلوا وهم يتكلمون فيه.

مرة أخرى راجعت كتب التراجم المغربية والأندلسية فلم أقف فيها على من نقل عن «ابن عبد الملك المراكشي» ما كتبه في رسم ابن قرقول، عن صلته بالمشارق والأثر الجليل للطراز في اخراجها من مبيضتها، وكان ابن عبد الملك مرجوا لأن يضيء لنا الموقف، بالمعهود من منهجه الدقيق في توثيق أخباره ونقوله، والعناية البالغة بالجرح والتعديل، وإلى اليوم لم أعثر على هذه الترجمة.

غير أني وجدت «ابن القاضي المكناسي» (960 ـ 1025 هـ) قال في ترجمة ابن قرقول بجذوة الاقتباس :

«وقد تكلم فيه بعضهم من جهة كتاب المطالع وهو لا بد كتاب مشارق الأنوار للقاضي أبي الفضل عياض كان القاضي قد تركه في مبيضته فاستعارها وجرد منها ما أمكن نقله. لاستعمائها وصعوبتها ثم نقل الناس من كتابه. قال ابن خاتمة : ولم يتصل بنا أنه نسب الكتاب إلى نفسه».

«ابن القاضي» لا شك عنده في أن المطالع هي المشارق. لا بد. وان التمس لابن قرقول عذرا فيما كانت عليه مبيضتها من صعوبة واستعماء. ثم ترك الكلمة في صنيع ابن قرقول لابن خاتمة المرى الذى حرص فيما يبدو. في كتابه (مزية المرية) على تبرئة رجل من أبنائها. بها مولده ونشأته. وإليها أول انتمائه وانتسابه.

ويوشك أن يكون المحكى هنا عن ابن خاتمة في القرن الثامن. هو ما قاله السخاوي في القرن التاسع. في فتح المغيث ونقل محكيا عنه في طرة على المخطوطة الرباطية للمشارق. وسبقت الإشارة إلى أني لم أقف على من تكلم في ابن قرقول ومطالعه. من المشارقة. قبل الشمس السخاوي. واستأنست لذلك بموقفهم من الكتابين. وهذا بيانه :

(أبو عمرو ابن الصلاح) تلقى المشارق فأكبرها وعظمها. مع ما رجح من وصولها إليه قبل ظهور نسخة الطراز.

(المطالع) وصلت إليه كذلك. ولا يؤثر عنه رأي صريح فيها. فيما وقفت عليه وإن كان رجع إليها مرة واحدة في مقدمته في علوم الحديث (ص 529) في ضبط محمد بن سلام البيكندي. شيخ البخاري. وهذا الضبط ليس في المشارق. وهو من الإضافات اليسيرة لابن قرقول. نقلها النووي كذلك في مقدمة شرحه لصحيح مسلم.

لكن في المنقول من حواشي نسخة ابن الصلاح من المطالع. ما يرد على المشارق أيضا. ولم يذكرها وهي بين يديه. فهل كانت مما سقط من نسخته ؟ الله أعلم.

وموقف الإمام النووي (676 هـ) من الكتابين يلفت النظر : في شرحه لصحيح مسلم، كانت المشارق بين يديه، نقل عنها في مقدمته وفي مواضع عديدة من الشرح، مع ما للقاضي عياض في الإكمال.

وقد يذكر مطالع الأنوار مع المشارق، لكنه في مقدمة شرحه لمسلم، يكثر من نقل ما قاله صاحب المطالع، فيفرده بالذكر دون المشارق، وفيها ما نقله النووي عن صاحب المطالع.

وموقفه من المشارق والمطالع في (تهذيب الأسماء واللغات) أوضح وأعجب :

المشارق كانت بين يديه، نقل منها ضبط القاضي عياض في مادتى (سيج، وطلس).

لكنه نقل في (جفر) معناها عند القاضي عياض في حديث أم زرع، وفي أم أيمن، (والحلة، وغرر) ما قاله القاضي في الإكمال وفي (رفس ما قاله في التنبيهات ولم ينقل فيها ما قاله القاضي في المشارق.

وليس هذا موضع العجب، الذي أعجب له أن يخص صاحب المطالع بنقل ما قاله في مواد : صرى، صلح، ضمن، طوق، عتق، عوج، قين، مسك، مشط... وفي ضبط (الربيع بفت معوذ، ومحرز الدلجى).

ولا ينقل فيها من المشارق وهي أصل المطالع :

وأعجب منه، وأدعى إلى الحيرة، ما في تهذيب اللغات من فصول في أسماء البلدان :

لقد جرى الإمام النووي على نقل ما قاله صاحب المطالع، وأكثر منه، فما يكاد يخلو حرف في أسماء البلدان من قول لصاحب المطالع، والذي فيها لا يخرج عما في المشارق التي لم يذكرها في حرف من بلدان (التهذيب).

وابن الموصلي ناظم المطالع، قبل منتصف القرن الثامن، يستدرك في حواشيه على مخطوطيها بالقرويين والرباط، على صاحب المطالع، فواتا من الضبط، نجده في المشارق، وأوهاما نجدها أيضا في المشارق، ولم يذكر فيما قرأت

من حواشيه أنه قابل على المشارق وقد كانت لديه. حين نظم المشارق التي صرح في منظومته بأنها «أم المطالع».

ثمت مواضع قليلة من نقول النووي من المطالع. ومستدرك ابن الصلاح وابن الموصلي عليها. لم أجدها في طبعة المشارق. فهل هو من اختلاف نسخها. أو هو من إضافات ابن قرقول الموهمة باستقلاله عن القاضي عياض في مشارق أنواره ؟ الله أعلم.

لقد قطعت كل هذه الخطوات وصولا إلى تبين قضية المطالع لابن قرقول. متحاشية جهدي أن أقول فيها برأي. إشفاقا من تبعة ثقيلة تخفف منها من قالوا إن المطالع هي المشارق. منتزعة منها. ثم توقفوا في الحكم على ابن قرقول تحرجا أو حذرا. فكان أن رأيت تقديم ما أنجزته من البحث دون خاتمة. ليوضع في سجل القضية. دون أن أكف عن التماس ما لم أطلع عليه من وثائقها.

ثم كان أن وقفت. بأخرة. على مخطوطات للمشارق والمطالع في مكناس. لم يسعف الوقت في هذه العجالة على السعي إليها من قبل.

في خزانة الجامع الكبير بمكناس. ثلاث مخطوطات من المشارق قديمة بالية أولها مبتور من آخره. والثاني من أوله. والثالث ينتهي بآخر ما في حرف الدال. ويبدو أنها قطع من مخطوط أندلسي قديم. للسفر الأول من المشارق في تجزئة ثلاثة. انصرفت عنها مؤقتا إلى مخطوط في الخزانة من :

(مطالع الأنوار) بالغ القيمة والأهمية في القضية الشاغلة. رقمه (165) عنوانه بخط مشرقي منسوب. ومداد أحمر :

الاول من كتاب مطالع الانوار على صحيح الاثار.

فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب المسلم وكتاب البخاري. رحمهم الله تعالى.

اختصره الفقيه الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن ابراهيم الحمزي المسمى بابن قرقول. مما صنفه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي رحمهما الله تعالى.

وأبينه بمداد أسود. بخط الناسخ. البيتان:

بقدر الجد تكسب المعالي	ومن طلب العلا سهر الليالي
تريد العز ثم تنام ليلا	يغوص البحر من طلب اللآلي

ثم بخط توقيع مغربي دقيق. (تحبيس مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن أمير المؤمنين... هذا الجزء الأول من كتاب مطالع الأنوار لابن قرقول. على خزانة الجامع الأعظم في مكناسة. وحازه من له النظر).

وقيد في جمادى الثانية عام 1175 هـ.

المخطوط في 561 صفحة من القطع الكبير رقمت حديثا بأرقام مغربية. وبخط مشرقي منسوب كخط العنوان. من خط القرن السابع مداده أسود. وعناوين الفصول بحروف كبيرة. والفواصل وعلامات الترقيم بالمداد الأحمر. والمتن مضبوط بالشكل. بقلم الناسخ. والنسخة في جملتها غاية في الرونق والاتقان. وأما جلدة المخطوط. فحضرية مغربية. كالمشارق.

ويبدأ بأول خطبة الكتاب.

وآخره ما في فصل الاختلاف والوهم في حرف الكاف. (من الأنساب) ونصه في صفحة 351 من المجلد الأول لطبعة المشارق.

يليه بخط الناسخ:

كمل السفر الأول بحمد الله وعونه. وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم.

كتبه العبد المذنب الفقير. أحمد بن .... مرز بن شروين الأبهاري. غفر الله لهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات .... عشرة رجب سنة تسع وعشرين وستمائة. بدمشق.

ثم بخطه : يتلوه في المجلد الثاني حرف اللام مع الهمزة. قوله : فسيخرجون كأنهم اللؤلؤ. إن شاء الله.

وأوراق المخطوط. رغم قدمه. متماسكة. قويت أطرافها بشريط من ورق ملصق. ولا تخلو من خروم. وعلى هوامشها. غير ماهو من اللحق لسقط من المتن. قدر يسير من الحواشي.

ه ه ه

زودني هذا المخطوط النفيس. بما لم أحتسب من أهم الوثائق في قضية المطالع والمشارق :

● فيها الدليل على أن المطالع وصلت إلى المشرق قبل سنة 629 هـ بوقت لا نحدده لكنه على أقل تقدير. قبل وفاة أبي عبد الله الطراز. بنحو عشرين سنة.

وقرأها الناس قبل ظهور نسخة الطراز المهذبة المتقنة من المشارق. ولعل المطالع كانت أفضل حالا من نسخ أخرى للمشارق. شابها من الخلل والتصحيف. مانبه عليه محمد بن الجمالي في طرته على قطعة تمكروت من نسخته النفيسة النادرة (97 ق).

وخطبة المطالع. تعطينا نموذجا من مستواه في التخريج والتضمين وقد قال ابن الآبار في ترجمة ابن قرقول بالتكملة بعد ذكر مولده ونشأته بالمرية. وسماعه بها من جده لأمه أبى القاسم ابن ورد وشيوخه الذين لقيهم. ومن كتبوا إليه :

«وكان رحالا في طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ فقيها نظارا أديبا حافظا. يبصر الحديث ورجاله. وقد صنف وألف. مع براعة الخط وحسن الوراقة. حدث وأخذ عنه الناس».

ووصول مطالعه مبكرة إلى المشرق قبل نسخة الطراز من المشارق. مما يفسر لنا ما سبق من عرض لموقف المشارقة من

المطالع والمشارق قبل تهذيبها. ووضعها مع الكتب المعتبرة في غريب الحديث. ومشكل اللغات ومشتبه الأسماء والكنى والأنساب. في الصحاح الثلاثة الأمهات.

● ومخطوط المطالع. في هذه النسخة المشرقية بمكناس. هو السفر الأول من الكتاب. فيه النص الكامل لخطبته آثرت أن أرفقها كاملة. مع خطبة المشارق. بهذا المبحث في التوثيق. لأنها التي تفسر لنا ما وقع من لبس واختلاط بين المطالع والمشارق: ليس في خطبة المطالع أدنى إشارة. ولو تلميحا. إلى أصلها في المشارق ولا ذكر للقاضي عياض. ينمى إلى مشارقه مطالع ابن قرقول. من ثم بدأ الوهم الفادح في صلة المطالع بالمشارق. فضرب من ضرب على مخطوطات منهم. ليبدل احدهما بالآخر. وتحير المترجمون والمفهرسون - ونادرا ما ينظرون في متون الكتب - في مطالع ابن قرقول. بين أن يكون صنفه على منوال المشارق. كما في مرآة الجنان لليافعي وفيات سنة 669 - كذا - كما جاء في تعريف المطالع بكشف الظنون. أو ضاهى به مشارق الأنوار. كعبارة ابن العماد الحنبلي في الشذرات وفيات سنة 669 - كذا - أو على مثاله كما قال «بروكلمان».

وان يكون اختصارا للمشارق. كما في تعريف حاجي خليفة بمشارق الأنوار في كشف الظنون.

وأن يكون صنفه على مثال المشارق مختصرا له منها. كما في (الرسالة المستطرفة).

وأن تكون المطالع هي المشارق. لا بد. كما قطع ابن القاضي المكناسي في رسم ابن قرقول بجذوة الاقتباس. وأن يكون (الظاهر أن كتاب المطالع منتزع من المشارق. لشيخه عياض) كما قال السخاوي في (فتح المغيث).

● ● ●

وبقي المتكلم على ابن قرقول، من جهة كونه نسب الكتاب لنفسه، توقف فيه ابن خاتمة والسخاوي فظل الحكم في القضية معلقا، إلا أن يكون ابن عبد الملك المراكشي قد حسمه فيما لم يصل إلينا من رسم ابن قرقول في الذيل.

ولقد حرصت ما استطعت، على التحرج من ابداء رأي في هذه القضية الشاغلة، لكن ما أطلعت عليه من مستنداتها، حملني مسؤولية النظر فيها.

قرأت في كتاب ابن قرقول، ولا أملك إلا أن اعترف بأنه كان بحيث يشتبه بالمشارق، لولا إلفى لها ووثوق صلتي بها.

الوهم يقع حتما من خطبة المطالع وخاتمته، قد خلتا من أي تنبيه أو إشارة إلى أصلها في مشارق الأنوار، وأسقط من فاتحة المشارق، بعد البسملة والحمدلة والتصلية (قال الشيخ الفقيه الحافظ الإمام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ورضي عنه).

وحيث يأتي في متن المطالع، مرات قليلة : قال القاضي عياض، أو : رجحه القاضي عياض، فذلك أدعى إلى إيهام فادح بذكر بضعة أقوال له، وكأن مافي الكتاب ليس له، على حين يأتي في المشارق (قال القاضي رحمه الله) تعقيبا على اشكال أو اختلاف، فلا يكون مظنة إيهام بأي حال، والكتاب كتابه، والمادة له.

وما لابن قرقول في المطالع في زيادات يسيرة، لاتدفع الوهم إن لم ترسخه، إذ لم يجر فيها على نهج السلف في مصنفاتهم على كتب لغيرهم، يميزون دائما بين ما لصاحب الأصل، وما هو من إضافات الشارح أو المختصر.

ويقع كثيرا في المطالع، أن تتغير صيغ التحمل والأخذ عن الشيوخ : تكون في المشارق سماعا للقاضي عياض أو ضبطا وتقييدا على شيوخه، وتأتي في المطالع بالعنعنة، أو بصيغة :

وعند فلان كذا، أو : ضبطه فلان لكذا...

ومع القطع بأن المطالع تخريج ابن قرقول لمشارق الأنوار، أتقى سوء الظن بالرجل والحكم على مضمر قصده ونواياه.

ظاهر أمره عندي أنه بذل جهده لإخراج المشارق من مبيضاتها العصية على القراءة لاستعمائها وصعوبتها وإشكالها. فجرد منها ما أمكن إقامته من متنها وسمى تخريجه بمطالع الأنوار. تمييزا له عن تخريجات آخرين للكتاب. وفي حسابه أن التخريج ليس بحيث يخفى على أهل العلم. فيظنون به الظنون.

وقرأ الناس في كتابه. وصنفوا عليه. وليس في خطبته ولا في متنه. تنبيه على كونه من مشارق الأنوار. فكان ما كان من لبس خطير. وتكلموا على ابن قرقول من جهة كونه جرد مطالعه من مبيضة شيخه. ونسبها إلى نفسه.

وأقول مع ذلك. إن عرض القضية لا يتم بالإحالة على نقولي من بضع مخطوطات. ليست كل ما بقي من نسخ الكتابين في خزائن الشرق والغرب، فضلا عن تقارب حجم المشارق والمطالع. وغير متصور أن أنقلهما فيما لا يحصى من بطاقات المقابلة. وتقييدات الشراح.

إنما السبيل على المومنين. أن تنشر طبعة محققة من المشارق وعلى هامشها النص الكامل لمطالع الأنوار. وعندئذ يتبين الحق وينجلي الصبح لذى عينين.

ولأني على وشك الرحيل. هامة اليوم أو غد. دونت كل ما وقفت عليه من حواش وتعليقات على الكتابين. وما أجريته من مقابلات على ما في كتب السلف من نقولي منهما. أتركها لمن يحمل معي وبعدي. من أبنائي شباب علماء القرويين طال عمرهم أمانة هذا التكليف الصعب. وديعة ووصية وعهدا. فهل بلغت؟ اللهم فاشهد.

ملحق ببحث
مشارق الانوار للقاضي عياض
مبحث في التوثيق

ـ ا ـ خطبة كتاب :

(مشارق الانوار على صحاح الاثار)

للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي

نقلا من طبعة فاس : 1328

ـ ب ـ خطبة كتاب :

(مطالع الأنوار على صحايح الآثار)

لأبي إسحاق ابن قرقول

نقلا من مخطوط الجامع الأعظم

بمكنـــــــــــاس 165

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

قال الشيخ الفقيه الحافظ الناقد القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض رحمه الله تعالى ورضي عنه

الحمد لله مظهر دينه المبين، وحائطه من شبه المبطلين، وتحريف الجاهلين، بعث محمدا عليه السلام إلى كافة خلقه، بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وضمن تعالى حفظه فما قدر العدو على إدخال الخلل في لفظه، مع كثرة الجاحد الجاهد على إطفاء نوره، وظهرة المعادي المعاند لظهوره، وبين على لسان نبيه مناهجه وشرعته ما وكل نفي التحريف عنه لعدول أعلام الهدى من أمته، فلم يزالوا رضوان الله عليهم يذبون عن حمى السنن، ويقومون لله بهداهم القويم الحسن، وينبهون على من يتهم بهتك حريمها ومزج صحيحها بسقيمها، حتى بان الصدق من المين، وبان الصبح لذى عينين، وتميز الخبيث من الطيب وتبين الرشد من الغي، واستقام ميسم الصحيح، وأبدى عن الرغوة الصريح، ثم نظروا رحمهم الله بعد هذا التمييز العزيز والتصريح المريح، نظرا آخر في الصحيح، فيما يقع لآفة البشرية من ثقات رواته من وهم وغفلة، فنقبوا في البلاد عن أسبابها، وهتكوا ببارع معرفتهم ولطف فطنتهم سجف حجابها، حتى وقفوا على سرها، ووقعوا على خبيئة أمرها، فأبانوا عللها وقيدوا مهملها، وأقاموا محرفها وعانوا سقيمها، وصححوا مصحفها، وأبرزوا في كل ذلك تصانيف كثرت صنوفها وظهر شفوفها، واتخذها العالمون قدوة، ونصبها العالمون قبلة. فجزاهم الله عن سعيهم الحميد أحسن ما جازى به أحبار ملة، ثم كلت بعدهم الهمم وفترت الرغائب، وضعف المطلوب والطالب، وقل القائم مقامهم في المشارق

والمغارب، وكان جهد المبرز في حمل علم السنن والآثار، نقل ما أثبت في كتابه، وأداء ما قيده فيه دون معرفة لخطيئه من صوابه، إلا آحادا من مهرة العلماء، وجهابذة الفهماء، وأفرادا كدراري نجوم السماء، ولعمر الله إن هذه بعد لخطة أعطى صاحب الشريعة للمتصف بها من الشرف والأجر قسطه، إذا وفى عمله شرطه، وأتقن وعيه وضبطه، فقال عليه السلام في الحديث الصحيح : نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»

وقد كان فيمن تقدم من هو بهذه السبيل من الاقتصار على أداء ما سمع ورأى وتبليغ ما ضبط ووعى، دون التكلم فيما لم يحط به علما أو التسور على تبديل لفظ أو تأويل معنى، وهي رتبة أكثر الرواة والمشائخ، وأما الإتقان والمعرفة ففي الأعلام والأئمة، لكنهم كانوا فيما تقدم كثرة وجملة، وتساهل الناس بعد في الأخذ والأداء حتى أوسعوه اختلالا، ولم يألوه خبالا، فتجد الشيخ المسموع بشأنه وثنائه، المتكلف شاق الرحلة للقائه، تنتظم به المحافل، ويتناوب الأخذ عنه ما بين عالم وجاهل، وحضوره كعدمه، إذ لا يحفظ حديثه، ويتقن أداءه وتحمله، ولا يمسك أصله، فيعرف خطأه وخلله، بل يمسك كتابه سواه، ممن لعله لا يوثق بما يقوله ولا يراه، وربما كان مع الشيخ من يتحدث معه أو غدا مستثقلا نوما أو مفكرا في شؤونه، حتى لا يعقل ما سمعه.

ولعل الكتاب المقروء عليه لم يقرأه قط ولا علم ما فيه إلا في نوبته تلك، وإنما وجد سماعه عليه في حال صغره بخط أبيه أو غيره، أو ناوله بعض متساهلي الشيوخ (1) ضبائر كتب وودائع أسفار، لا يعلم سوى ألقابها، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق بما لا يعرف وهو طفل، أو حبل حبلة لم يولد بعد ولم ينطق.

قوله ضبائر الخ، الاضبارة الحزمة من الصحف وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوم يخرجون من النار ضبائر ضبائر، كأنهم جمع ضبارة وكل مجتمع ضبارة قاله في لسان العرب اهـ مصححه.

ثم يستعار للشيخ كتاب بعض من عرف سماعه من شيوخه أو يشتريه من السوق ويكتفي بأن يجد عليه أثر دعوى بمقابلته وتصحيحه.

ثم ترى الراحل لهذا الشأن الهاجر فيه حبيب الأهل ومألوف الأوطان. قد سلك من التساهل طبقة من عدم ضبطه لكتابه. وتشاغله أثناء السماع بمحادثته جليسه أو غير ذلك من أسبابه. وأكثرهم يحضر بغير كتاب أو يشتغل بنسخ غيره أو تراه منجدلا يغط في نومه. قد قنعا معا في الأخذ والتبليغ بسماع هيمنة لا يفهمان معنى خطابها ولا يقفان على حقيقة خطئها من صوابها. ولا يكلمان إلا من وراء حجابها.

وربما حضر المجلس الصبي الذي لم يفهم بعد عامة كلام أمه ولا أستقل بالميز والكلام لما يعنيه من أمره. فيعتقدون سماعه سماعا لاسيما إذا وفي أربعة أعوام من عمرة. ويحتجون في ذلك بحديث محمود بن الربيع وقوله. عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن أربع سنين» .

وروى : ابن خمس . وليس في عقله هذه المجة على عقله لكل شيء حجة.

ثم إذا أكمل سماع الكتاب على الشيخ كتب سماع هذا الصبي في أصله أو كتبه له الشيخ في كتاب أبيه أو غيره. ليشهد له ذلك بصحة السماع في مستأنف عمره.

وأكثر سماعات الناس في عصرنا وكثير من الزمان قبله بهذه السبيل ولهذا ما حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب بلفظه. رحمه الله. وغيره عن الفقيه أبي عبد الله أبيه. أنه كان يقول : لاغنى في السماع عن الإجازة. لهذه العلل والمسامحة المستجازة.

وحدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح عن الحافظ أبى ذر الهروي إجـــازة قال : حدثنا الوليد بن بكر المالكي قال : حدثنا أحمد بن محمد أبو سهل العطار بالاسنكدرية قال : كان أحمد بن ميسر يقول : الإجازة عندى على وجهها خير وأقوى في النقل من السماع الردى. وهبك صح هذا كله في مراعاة صدق الخبر.

أين تحرى المروى وتعيين المخبر ؟ لا جرم بحسب هذا الخلل وتظاهر هذه العلل. ما كثر في المصنفات والكتب التغيير والفساد. وشمل ذلك كثيرا من المتون والإسناد. وشاع التحريف وذاع التصحيف. وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها وعم أصول الدواوين مع فروعها. حتى اعتنى صبابة أهل الاتقان والعلم. وقليل ماهم. بإقامة أودها ومعاناة رمدها. فلم يستمر على الكافة تغييرها جملة. لما أخبر عليه السلام عن عدول خلف هذه الأمة.

وتكلم الأكياس والنقاد من الرواة في ذلك بمقدار ما أوتوه. فمن بين غال ومقصر ومشكور عليم ومتكلف هجوم. فمنهم من جسر على إصلاح ما خالف الصواب عنده وغير الرواية بمنتهى علمه وقدر إدراكه. وربما كان غلطه في ذلك أشد من استدراكه. لأنه متى فتح هذا الباب لم يوثق بعد بتحمل رواية ولا أنس إلى الاعتداد بسماع. مع أنه قد لا يسلم له ما رآه. ولا يوافق على ما أتاه . إذ فوق كل ذي علم عليم.

ولهذا سد المحققون باب الحديث على المعنى وشددوا فيه. وهو الحق الذي أعتقده ولا أمتريه. إذ باب الاحتمال مفتوح. والكلام للتأويل معرض. وافهام الناس مختلفة والرأي ليس في صدر واحد. والمرء يفتن بكلامه ونظره. والمغتر يعتقد الكمال في نفسه. فإذا فتح هذا الباب وأوردت الأخبار على ما ينفهم للراوي منها. لم يتحقق أصل المشروع. ولم يكن الثاني بالحكم على كلام الأول بأولى من كلام الثالث على كلام الثاني. فيندرج التأويل وتتناسخ الأقاويل. وكفى بالحجة على دفع هذا الرأي القائل دعاؤه عليه السلام. في الحديث المشهور المتقدم. لمن أدى ما سمعه بعد أن شرط عليه حفظه ووعيه. ففي الحديث حجة وكفاية وغنية في الفصول التي خضنا فيها آنفا من صحة الرواية لغير الفقيه. واشتراط الحفظ والوعي في السماع والأداء كما سمع وصحة النقل. وتسليم التأويل لأهل الفقه والمعرفة. وابانة العلة في منع نقل الخبر على المعنى لأهل العلم وغيرهم بتنبيهه على اختلاف منازل الناس في الدراية وتفاوتهم في المعرفة وحسن التأويل.

والصواب من هذا كله لمن رزق فهما وأوتى علما إقرار ما سمعه كما سمعه ورواه. والتنبيه على ما انتقده في ذلك ورآه. حتى يجمع الأمرين ويترك لمن جاء بعد النظر في الحرفين. وهذه كانت طريق السلف فيما ظهر لهم من الخلل فيما رووه من إيراده على وجهه وتبيين الصواب فيه أو طرح الخطأ البين والاضراب عن ذكره في الحديث جملة. أو تبييض مكانه والاقتصار على رواية الصواب. أو الكناية عنه بما يظهر ويفهم لا على طريق القطع.

وقد وقع من ذلك في هذه الأمهات ما سنوقف عليه ونشير في مظانه إليه. وهي الطريقة السليمة ومذاهب الأئمة القويمة. فأما الجسارة فخسارة. فكثيرا ما رأينا من نبه بالخطأ على الصواب فعكس الباب.

ومن ذهب مذهب الإصلاح والتغيير فقد سلك كل مسلك في الخطأ ودلاه رأيه بغرور. وقد وقفت على عجائب في الوجهين وسننبه من ذلك على ما توافيه العبر. وتحقق من تحقيقه أن الصواب مع من وقف وأحجم لا مع من صمم وجسر. وتتأمل في هذه الفصول ما تكلمنا عليه وتكلم عليه الأشياخ والحفاظ فيما أصلحه أبو عبد الله بن وضاح في الموطأ على يحيى بن يحيى. فيمن تقدم. وعلى ما أصلحه القاضي أبو الوليد الكناني على هذه الكتب فيمن تأخر.

واظهار الحجج على الغلط في كثير من ذلك الإصلاح وبيان صحة الرواية في ذلك من الأحاديث الصحاح.

وكما وجدنا معظما من حفاظ المتأخرين المغاربة أصلا البغداديين نزلا. قد روى حديث جليبيب وقول المرأة : اجليبيب انيه. فقيده : الجليبيب الابنة. لما كان الحديث في خطبة ابنة هذه المرأة وهي قائلة هذا الكلام. ولم ينفهم لمن لم يعرف معنى أنيه. وإلحاق بعض العرب هذه الزيادة الأسماء في الاستفهام عند الإنكار. ظن أنه مصحف من الابنة. وكذلك فعل في حديث جويرية. وشك يحيى بن يحيى في سماعه اسمها في حديثه وقوله : أحسبه قال : جويرية أو البتة ابنة الحارث. فقيده : أو ألبته بفتح الهمزة وكسر اللام بعدها ياء باثنتين

تحتها مخففة. وظنه اسما وان شك يحيى إنما هو في تغيير الاسم لا في إثباته أو سقوطه. ويحيى إنما شك هل سمع في الحديث زيادة اسم جويرية أو إنما سمع ابنة الحارث فقط؟ ثم نفى الشك عن نفسه بعد قوله : أحسبه قال جويرية. فقال : أو البتة أي انى أحقق أنه قالها.

ومثل هذا في حديث يحيى بن يحيى كثير. وسنذكر منه في موضعه إن شاء الله.

وكذلك روى الحديث : ادام أهل الجنة. باللام فقال : باللاي يعنى الثور. وهكذا وجدت معظما من شيوخنا قد أصلح في كتابه من مسلم في حديث أم زرع من روايته عن الحلواني عن موسى بن اسماعيل عن سعيد بن سلمة في قوله وعقر جارتها. فأصلحه : وعبر. بالباء وضم العين. اتباعا لما رواه فيه ابن الأنباري وفسره بالاعتبار أو الاستعبار على ما نذكره. إذ لم ينفهم له ذلك في عقر. والمعنيان بينان في عقر إذ هو بمعنى الحيرة والدهش. وقد يكون بمعنى الهلاك. وكله بمعنى قوله في الرواية المشهورة وغيظ جارتها وسنبينه في موضعه بأشبع من هذا إن شاء الله في أمثلة كثيرة نذكرها في مواضعها. إلا قصة جليبيب فهذا اللفظ ليس في شيء من هذه الأصول. فبحسب هذه الاشكالات والاهمالات في بعض الأمهات واتفاق بيان ما يسمح به الذكر ويقتدحه الفكر مع الأصحاب في مجالس السماع والتفقه ومسيس الحاجة إلى تحقيق ذلك. ما تكرر علي السؤال في كتاب يجمع شواردها ويسدد مقاصدها. ويبين مشكل معناها. وينص اختلاف الروايات فيها. ويظهر أحقها بالحق وأولاها. فنظرت في ذلك فإذا جمع ما وقع من ذلك في جماهير تصانيف الحديث وأمهات مسانيده ومنثورات أجزائه. يطول ويكثر. وتتبع ذلك مما يشق ويعسر. والاقتصار على تفاريق منها لا يرجع إلى ضبط ولا يحصر. فأجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاث الجامعة لصحيح الآثار التي أجمع على تقديمها في الأعصار وقبلها العلماء في سائر الأمصار. كتب الأئمة الثلاثة : الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس المدني.

والجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، والمسند الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، إذ هي أصول كل أصل ومنتهى كل عمل في هذا الباب وقول، وقدرة مدعى كل قوة بالله في علم الآثار وحول، وعليها مدار أندية السماع وبها عمارتها، وهي مبادىء علوم الآثار وغايتها، ومصاحف السنن ومذاكرتها، وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة.

ولم يؤلف في هذا الشأن كتاب مفرد تقلد عهده ما ذكرناه على أحد هذه الكتب أو غيرها، إلا ما صنفه الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في تصحيف المحدثين، وأكثره مما ليس في هذه الكتب، وما صنعه الإمام أبو سليمان الخطابي في جزء لطيف.

والا نكتا متفرقة وقعت أثناء شروحها لغير واحد لو جمعت لم تشف غليلا ولم تبلغ من البغية إلا قليلا، وإلا ما جمع الشيخ الحافظ أبو علي الحسين، بن محمد الغساني، شيخنا رحمه الله، في كتابه المسمى بتقييد المهمل، فإنه تقصى فيه أكثر ما اشتمل عليه الصحيحين، وقيده أحسن تقييد وبينه غاية البيان وجوده نهاية التجويد، لكن اقتصر على ما يتعلق بالأسماء والكنى والأنساب وألقاب الرجال، دون ما في المتون من تغيير وتصحيف وإشكال، وإن كان قد شذ عليه من الكتابين أسماء واستدركت عليه فيما ذكر أشياء، فالإحاطة بيد من يعلم ما في الأرض والسماء، ولما أجمع عزمي على أن أفرغ له وقتا من نهاري وليلي وأقسم له حظا من تكاليفي وشغلي، رأيت ترتيب تلك الكلمات على حروف المعجم أيسر للناظر وأقرب للطالب فإذا وقف قارىء كتاب منها على كلمة مشكلة أو لفظة مهملة فزع إلى الحرف الذي في أولها إن كان صحيحا، وإن كان من حروف الزوائد أو العلل تركه وطلب الصحيح، وإن أشكل وكان مهملا طلب صورته في سائر الأبواب التي تشبهه حتى يقع عليه هنالك، فبدأت بحرف الألف وختمت بالياء، على ترتيب حروف المعجم عندنا، ورتبت ثاني الكلمة وثالثها من ذلك الحرف على ذلك الترتيب، رغبة في التسهيل للراغب والتقريب، وبدأت في أول كل

حرف بالألفاظ الواقعة في المتون المطابقة لبابه على الترتيب المضمون فتولينا إتقان ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها ولا يبقى بها إهمال يبهمها. فإن كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات نبهنا على ذلك وأشرنا إلى الأرجح والصواب هنالك. بحكم ما يوجد في حديث آخر رافع للاختلاف مزيح للإشكال مريح من حيرة الإبهام والإهمال. أو يكون هو المعروف في كلام العرب أو الأشهر أو الأليق بمساق الكلام والأظهر. أو نص من سبقنا من جهابذة العلماء وقدوة الأئمة على المخطىء والمصحف فيه. أو أدركناه بتحقيق النظر وكثرة البحث على ما نتلقاه من مناهجهم ونقتفيه. وترجمنا فصلا في كل حرف على ما وقع فيها من أسماء أماكن من الأرض وبلاد. يشكل تقييدها ويقل متقن أساميها ومجيدها. ويقع فيها لكثير من الرواة تصحيف يسمح. ونبهنا معها على شرح أشباهها من ذلك (2) الشرج. ثم نعطف على ما وقع في المتون في ذلك الحرف بما وقع في الإسناد من النص على مشكل الأسماء والألقاب ومبهم الكنى والأنساب. وربما وقع منه من جرى ذكره في المتن فأضفناه إلى شكله من ذلك الفن. ولم نتبع ما وقع من هذه الكتب من مشكل اسم من لم يجر في الكتاب إلا كنيته أو نسبه. وكنية من لم يذكر في الكتاب إلا اسمه أو لقبه. إذ ذاك خارج عن غرض هذا التأليف ورغبة السائل. وبحر عميق لا يكاد يخرج منه لساحل.

وفي هذا الباب كتب جامعة كثيرة وتصانيف مبسوطة ومقتضبة شهيرة. وقد انتقد على الشيخ أبى علي في كتابه ذكر أشياء من ذاك لم تذكر في الكتابين بحال. ولو أعطى فيها التأليف حقه لا تسع كتابه وطال. وفي ذكر البعض قدح في حق التأليف وغض. كترجمة الجزار والخراز والجراز وذكر من يعرف بذلك ممن في الصحيحين. وليس فيهما من هذه الألقاب مذكورا حقيقة غير يحيى بن الجزار وأبو عامر الخراز ومن عداهما إنما فيهما ذكر اسمه أو كنيته دون نسبته لذلك.

(2) قوله الشرج، قال في اللسان والشرج الضرب يقال، هما شرج واحد، اي ضرب واحد اهـ مصححه.

وكذلك ذكر في الأسماء يور وثور وثوب وليس في الصحيحين من هذه الأسماء الا ثور وحده وغير ذلك في أنساب أسماء وكنى ذكرت فيهما وإنما ذكرنا هاتين الترجمتين مثالا لعشرات مثلها. وذكرنا في آخر كل فصل من فصول كل حرف ما جاء فيه من تصحيف، ونبهنا فيه على الصواب والوجه المعروف. ودعت الضرورة عند ذكر ألفاظ المتون وتقويمها إلى شرح غريبها وبيان شيء من معانيها ومفهومها، دون نقص لذلك ولا اتساع إلا عند الحاجة لغموضه. أو الحجة على خلاف يقع هنالك في الرواية أو الشرح ونزاع . إذ لم نضع كتابنا هذا لشرح لغة وتفسير معان بل لتقويم ألفاظ واتقان. وإذ قد اتسعنا بمقدار ما تفضل الله به وأعان عليه في شرحنا لكتاب صحيح مسلم المسمى بالإكمال. وشذت عن أبواب الحروف نكت مهمة غريبة لم تضبطها تراجمها، لكونها جمل كلمات يضطر القارىء إلى معرفة ترتيبها وصحة تهذيبها. اما لما دخلها من التغيير أو الإبهام. أو التقديم والتأخير. أو أنه لا يفهم المراد بها إلا بعد تقديم اعراب كلماتها. أو سقوط بعض ألفاظها أو تركه على جهة الاختصار ولا يفهم مراد الحديث إلا به. فأفردنا لها آخر الكتاب ثلاثة أبواب.

الباب الأول : في الجمل التي وقع فيها التصحيف وطمس معناها التلفيف. إذ بينا مفردات ذلك في تراجم الحروف.

الباب الثاني : في تقويم ضبط جمل في المتون والأسانيد وتصحيح اعرابها وتحقيق هجاء كتابها وشكل كلماتها وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها. ليستبين وجه صوابها وينفتح للافهام مغلق أبوابها.

الباب الثالث : في إلحاق ألفاظ سقطت من أحاديث هذه الأمهات أو من بعض الروايات أو بترت اختصارا أو اقتصارا على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها.

فإذا كملت بحول الله هذه الأغراض وصحت تلك الأمراض. رجوت ألا يبقى على طالب معرفة الأصول المذكورة اشكال. وانه يستغنى بما يجده في كتابنا

هذا عن الرحلة لمتقني الرجال. بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية. أو يقتصر على درس أصل مشهور الصحة أو يصحح به كتابه ويعتمد فيما اشكل عليه على ما هنا ان كان من طالبي التفقه والدراية. فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي كما يحتاج إليه الحافظ الواعي. ويتدرج به المبتدي كما يتذكر به المنتهى. ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد كما لا يستغنى عنه راغب السماع والإسناد. ويحتج به الأديب في مذاكرته كما يعتمد عليه المناظر في محاضرته.

وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدراية قدره ويوفيه أهل الإنصاف والديانة حقه فإني نخلت فيه معلومي وبثته مكتومي ورصعته بجواهر محفوظي ومفهومي. وأودعته مصونات الصنادق والصدور وسمحت فيه بمضنونات المشائخ والصدور مما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق. ولا يبوحون بسره في متداولات المهارق. ولا يقلدون خطير دره إلا لبابات أهل الحقائق. ولا يعرفون منها راية إلا لمن يتلقاها باليمين. ولا يودعون منها آية إلا عند ثقة أمين.

وقد الفته بحكم الاضطرار والاختيار. وصنفته منتقى النكت من خيار الجيار. وأودعته غرائب الودائع والأسرار. وأطلعته شمسا يشرق شعاعها في سائر الأقطار. وحررته تحريرا تحار فيه العقول والأفكار. وقربته تقريبا تتقلب فيه القلوب والأبصار (وسميته بمشارق الأنوار على صحاح الآثار) وإلى الله جل اسمه ألجأ في تصحيح عملي ونيتي وإليه أبرأ من حولي وقوتي. ومنه أستمد الهداية لهمي وعزمتي. وإياه أسأل العصمة والولاية لجملتي. والعفو والغفران لذنبي وزلتي. انه منعم كريم.

(باب ذكر أسانيدي في هذه الأصول الثلاثة)

ورأيت ذكرها ليعلم مخرج الرواية التي أنص عليها عند الاختلاف أو أضيفها إلى روايها ليكون الواقف عليها على إثارة من علمها (فاما الكتاب الموطأ) للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الحميري ثم الأصبحي النسب القرشي ثم التيمي

بالحلف الحجازي ثم المدني الدار والمولد والنشأة. من رواية الفقيه أبي محمد يحيى بن يحيى الأندلسي ثم القرطبي الدار والمولد والنشأة العربي ثم الليثي بالحلف البربري ثم المصمودي النسب. التي قصدناها من جملة روايات الموطأ لاعتماد أهل أفقنا عليها غالبا دون غيرها. إلا المكثرين ممن اتسعت روايته وكثر سماعه. فإنا قرأنا جميعه وسمعناه على عدة من شيوخنا ببلدنا وبالأندلس. فحدثنا به الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمان بن محمد ابن عتاب والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين رحمهما الله سماعا عليهما بقرطبة سنة سبع وخمسمائة. عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن محسن بن عتاب.

وقرأت جميعه وسمعته مرة أخرى بسبتة على الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي. وحدثني به عن القاضي أبي الأصبغ غيسى بن سهل. وسمعته على القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي. إلا ما شككت في قراءته عليه فأجازنيه. وحدثني بجميعه عن الشيخ الحافظ أبى علي الحسين بن محمد الجياني. وقد كتب إلي أنا به أبو علي هذا في إجازته إياي. قال هو وأبو الأصبغ ابن سهل : حدثنا أبو عبد الله بن عتاب. قال حدثنا أبو القاسم خلف بن يحيى عن أحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد بن حزم ومحمد بن قاسم بن هلال. قال أبو عبد الله بن عتاب : وحدثنا به أيضا أبو عثمان سعيد بن سلمة والقاضي أبو بكر بن وافد. وشك في سماع بعضه منه. وذلك كتاب الحج وبعض كتاب الصلاة. عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى. كلهم عن عبيد الله بن يحيى. عن أبيه يحيى بن يحيى. عن مالك بن أنس.

قال شيخنا أبو محمد بن عتاب والقاضي أبو الأصبغ بن سهل والحافظ أبو علي : وحدثنا أيضا أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي. عن الفقيهين أبى عبد الله محمد بن عمر بن الفخار وأبى عمر أحمد بن محمد الطلمنكي. عن أبى عيسى.

قال أبو عمر : وحدثنا به أيضا أبو جعفر أحمد بن عون الله، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ البياني، عن محمد ين وضاح، عن يحيى بن يحيى.

قال حاتم : وحدثنا به أبو بكر بن حوبيل التجيبي، عن أحمد بن مطرف عن عبيد الله، عن أبيه يحيى.

قال أبو الأصبغ بن سهل : وحدثنا به أيضا الفقيه أبو زكرياء يحيى بن محمد حسين القليعي.

وقال القاضي أبو عبد الله بن حمدين : وحدثني به أيضا أبي رحمه الله، عن أبي زكرياء القليعي، عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، عن أحمد بن مطرف، عن عبيد الله.

وقال القاضي أبو عبد الله بن عيسى : حدثنا به أيضا الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، عن القاضي أبى الوليد يونس بن مغيث، عن أبى عيسى، قال : وحدثني به أيضا القاضي أبو عبد الله محمد بن خلف بن المرابط، عن أبي الوليد محمد بن عبد الله بن (3) ميقل، وأبي القاسم المهلب بز أبي صفرة، عن أبي محمد الأصيلي، عن ابن المشاط، عن عبيد الله، وعن الأصيلي، عن وهب بن مسرة، عن ابن وضاح.

قال أبو الوليد : وحدثني به أيضا عيسى بن أبي العلا عن أحمد ابن سعيد ابن حزم، عن عبيد الله : وحدثني به أيضا سماعا لبعضه ومناولة لما فاتني منه الفقيه أبو محمد بن أبي جعفر رحمه الله، قال : حدثنا هشام ابن وضاح قال : حدثنا أبو عبد الله بن نبات، حدثنا أبو عيسى عن عبيد الله، وحدثني به أيضا الفقيه أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي والفقيه ابو عمران موسى بن أبي تليد والحفظ أبو علي الغساني إجازة وغير واحد قالوا كلهم : حدثنا بجميعه أبو عمر

(3) قوله ميقل، كذا في نسخ 3 وضبط في جميعها بكسر الميم وضم القاف اهـ مصححه.

ابن عبد البر الحافظ، عن أبو عثمان سعيد بن نصر، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح.

قال أبو عمر : حدثنا به أبو الفضل التاهرتي، عن أبي عبد الملك محمد بن أبي دليم ووهب بن مسرة، عن ابن وضاح.

قال أبو عمر : وأخبرني به أيضا أبو عمر أحمد بن محمد الأموي عن أبى المطرف ابن المشاط وأحمد بن سعيد عن عبيد الله.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : وأخبرني بالموطأ أيضا الشيخ الصالح أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني عن أبى عمرو عثمان بن أحمد عن أبى عيسى، وقد سمعته ورويته واجازنيه غير واحد سوىمن ذكرته، ولنا فيه عن شيوخنا أسانيد أخرى غير ما ذكرناه تركناها اكتفاء بما أثبتناه وكذلك في موطئات غير يحيى وما ذكرناه منها.

وأما الكتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المولد والمنشأ والدار الجعفي النسب بالولاء : فقد وصل إلينا من رواية أبى عبد الله محمد بن يوسف الفربري، وأكثر الروايات من طريقه، ومن رواية إبراهيم ابن معقل النسفي، عن البخاري ولم يصل إلينا من غير هذين الطريقين عنه ولا دخل المغرب والأندلس إلا عنهما على كثرة رواة البخاري عنه لكتابه. فقد روينا عن أبى إسحاق المستملى انه قال عن أبى عبد الله الفربري انه كان يقول : روى الصحيح عن أبى عبد الله تسعون ألف رجل ما بقي منهم غيري.

فأما رواية الفربري فرويناها من طرق كثيرة منها : طريق الحافظ أبى ذر عبد بن أحمد الهروي، وطريق أبى محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، وطريق أبى الحسن علي بن خلف القابسي، وطريق كريمة بنت محمد المروزية، وطريق أبى علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي، وطريق أبى علي إسماعيل بن محمد الكشاني، وأبى علي محمد بن عمر بن شبوية، وأحمد بن

صالح الهمذاني. وأبى نعيم الحافظ الأصبهاني (4) وأبى الفيض أحمد بن محمد المروزي وغيرهم.

فاما رواية أبى ذر. فإني سمعتها بقراءة غيري بجامع مدينة مرسية لجميع الصحيح بها على القاضي الشهيد أبى علي الحسين بن محمد الصدفي. وحدثنا بها عن القاضي أبى الوليد سليمان بن خلف الباجي. عن أبى ذر عبد بن أحمد الهروي. عن شيوخه الثلاثة أبى محمد بن حموية السرخسي وأبى إسحاق إبراهيم ابن أحمد المستملي وأبى الهيثم محمد بن المكي الكشميهني. كلهم عن الفربري. عن البخاري. وأخبرني به الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون بمدينة اشبيلية. عن أبى ذر الهروي. إجازة.

وأما رواية الأصيلي فإني قرأت بها جميع الكتاب على الفقيه الشيخ أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بمدينة قرطبة. وحدثني به عن أبيه. عن أحمد بن ثابت الواسطي وغيره. عن الأصيلي عن أبى زيد محمد بن أحمد المروزي وأبى احمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني. كلاهما عن الفربري.

قال لى أبو محمد بن عتاب وأجاز نيها الفقيه أبو عبد الله بن نبات عن الأصيلي. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وكتب إلى بها إجازة بخط يده الحافظ أبو على الحسين بن محمد الجيانى. وحدثنى بها مشافهة الكاتب (5) أبو جعفر احمد بن طريف. حدثانى به جميعا عن القاضى سراج بن محمد بن سراج. عن الأصيلى. قال الجيانى : وحدثنى بها أيضا أبو شاكر عبد الواحد بن موهب عنه. وعارضت كتابى بأصل الأصيلى الذى بخطه حرفا حرفا. وكذلك عارضت مواضع إشكاله بأصل عبدوس بن محمد الذى بخطه أيضا. وروايته فيه عن المروزى. وأما رواية القابسى فحدثنى بها سماعا وقراءة وإجازة أبو محمد بن عتاب وأبو على الجياني وغير واحد. قالوا : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد

(4) في نسخة وابي الفضل.

(5) قوله ابو جعفر المشهور في كنيته ابن طريف ابو الوليد احمد كذا. نقل من خط العرف الفاسي وعلى الصواب وقع في الغنية للمؤلف رحمه الله فلعل م هن سبق قلم اهـ مصححه.

الطرابلسي، عن أبي الحسن القابسي، عن أبي زيد المروزي، عن الفربرى. وأخبرنا بها أحمد بن محمد، عن الفقيهين أبى عمران موسى بن عيسى الفاسى وأبى القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمى، بالإجازة عن القابسى. ولنا فيه أيضا رواية من طريق القاضي أبى القاسم المهلب بن أبى صفرة عنه. وأما رواية أبى على بن السكن فحدثنى بها أبو محمد بن عتاب، عن أبيه عن أبى عبد الله بن نبأت، عن أبى جعفر بن عون الله ومحمد بن أحمد بن مفرج، عن أبى على بن السكن، عن الفربرى. قال أبو محمد بن عتاب : وأجازنيها ابن نبأت المذكور. قال القاضي رحمه الله، حدثنا بها الشيخ أبو على الجياني فيما كتب إلينا به، وحدثنا به القاضي أبو عبد الله بن عيسى سماعا لأكثره عنه، قال : حدثنا بها القاضي أبو عمر ابن الحذاء وأبو عمر بن عبد البر الحافظ، قالا : وحدثنا أبو محمد عبد الله بن أسد عن ابن السكن. قال القاضي رحمه الله : وحدثنا به أبو محمد بن عتاب، عن أبي عمر ابن الحذاء، إجازة منه له. وأما رواية كريمة فحدثني بها الشيخ أبو الأصبغ عيسى ابن أبي البحر الزهري، والخطيب أبو القاسم خلف ابن ابراهيم المقري، والشيخ أحمد بن خليفة بن منصور الخزاعي، إجازة، وغير واحد، كلهم عن كريمة (6) بنت محمد، سماعا عن أبي الهيثم الكشميهني عن الفربرى.وأما رواية أبي على الكشاني فإن القاضي الحافظ أبا علي حدثنا بها عن أبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب البزاز، سماعه منه ببغداد، عن أبي عبد الله الحسين بن محمد الخلال، عن أبي علي الكشاني، عن الفربري، وأما رواية أبي اسحاق النسفي فكتب إلي بها الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغساني، وسمعت على القاضي أبي عبد الله التميمي كثيرا مما قيد منها عنه، قال : حدثني بها أبو العاصي حكم بن محمد الجذامي، عن أبي الفضل بن أبي عمران الهروي، عن أبي صالح خلف بن محمد الخيام البخاري، عن ابراهيم بن معقل النسفي، عن البخاري، إلا أن النسفي فاته من آخر الكتاب شيء من كتاب الأحكام إلى باب قوله تعالى :

(6) قوله بنت محمد كذا بالاصول التي بيدنا وصوابه بنت احمد اه مصححه.

يريدون أن يبدلوا كلام الله فإنه إجازة من البخاري للنسفي. ثم ما بعده لم يكن في رواية النسفي إلى آخر الكتاب وذلك نحو عشرة أوراق. لم يرو منها إلا تسعة أحاديث أول الكتاب. آخرها طرف من حديث الأفك.

وأما **كتاب المسند الصحيح** المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله عليه السلام للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النسب النيسابورى الدار. فإنه وصل إلينا من روايتين أيضا رواية أبى إسحاق إبراهيم بن سفيان المروزى ورواية أبى محمد أحمد بن على القلانسى إلا أن آخره من باب حديث الأفك لم يسمعه ابن ماهان (7) إلا من ابن سفيان فتفردت الرواية من هنالك عن ابن سفيان لأن إلى هنا انتهت رواية أبى بكر بن الأشقر على القلانسى. ولم يصل إلينا من غير هاتين الروايتين. وطرق هاتين الروايتين كثيرة. فأما رواية القلانسى فحدثنى بها الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر الخشنى. بقراءتى عليه لجميع الكتاب بمرسية سنة ثمان وخمسائة. عن أبيه. عن أبى حفص عمر بن الحسن الهوزنى. عن القاضى أبى عبد الله محمد بن أحمد الباجى. عن أبى العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن ماهان (8). عن أبى بكر محمد بن يحيى الأشقر. عن القلانسى. عن مسلم. وحدثنا بها أيضا القاضي أبو عبد الله بن عيسى فيما قرئ عليه وأنا أسمع. إلا ما فاتني فأجازنيه وبعضه قراءة بلفظي. وحدثني به عن الشيخ أبي على الجياني. عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء. عن أبيه. عن ابن ماهان. قال القاضي رحمه الله : وأجازنيه نا الجياني وأبو محمد بن عتاب عن أبي عمر بن الحذاء. وأما رواية ابن سفيان فقرأناها وسمعناها على جماعة من شيوخنا بطرقها المختلفة. فممن سمعتها عليه : الفقيه الحافظ القاضى أبو على الصدفي. والشيخ الراوية أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي. قالا : حدثنا بها أبو

(7) قوله الا من ابن سفين صوابه حذف الا وذلك لان ابن مهن لم يدرك ابن سفين وانم روى ذلك الفوت عنه بواسطة ابي احمد الجلودي اهـ مصححه.

(8) قوله عن ابي بكر كذا عنده وصوابه عن احمد بن محمد بن يحيى الاشقر الفقيه وعلى الصواب ثبت في فهرسته اهـ من هامش الاصل.

العباس أحمد ابن عمر العذرى. وحدثنى بها أيضا سماعا وقراءة وإجازة القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن أبي العباس العذري. إجازة. قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازى. قال أبو بحر : وحدثنى به أيضا الشيخ أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندى. عن أبى الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسى. وقرأتها على الفقيه أبي محمد بن أبي جعفر بلفظي قال : حدثنا (9) أبو علـي الحسين الفارسى. قال ابن أبى جعفر : وحدثنى بها أبى. عن أبى حفص الهوزنى. عن أبى محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالى. عن أبى سعيد عمر بن محمد السجزي. وحدثنا الشيخ الحافظ أبو علي الغساني من كتابه. وأبو محمد بن عتاب. وغير واحد إجازة. قالوا:حدثناحاتم بن محمد الطرابلسى. عن أبي سعيد السجزى. قال هو والرازى والفارسى:حدثنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابن سفيان. قال حاتم بن محمد : وحدثنا بها أيضا عبد الملك بن الحسن الصقلي. عن أبي بكر محمد بن ابراهيم الكسائي. عن ابن سفيان عن مسلم. ولنا ولشيوخنا أسانيد أخر في هذين الطريقين وفي طرق البخاري اختصرناها. والآن نبتدئ بترتيب الكتاب وتقريب تلك الفصول الموعود بها والأبواب. والله المعين. إلى ما فيه رضاه المرشد للصواب.

(حرف الهمزة) فمما يذكر من المتون ما ننصه على الترتيب المقدم

باب الألف والهمزة المفردتين مما اختلف فيه :

قوله : اتسخر بى وأنت الملك. حمل الحديث جماعة من المتأولين على أن الألف ألف استفهام. وعلى الإستعارة. والمقابلة. كما قال في قوله : الله يستهزىء بهم. وسنذكره في حرف السين. وقيل بل الألف هنا للنفي بمعنى : لا أى أنك لا تسخر ولا تليق بك السخرية كقوله تعالى : اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أنت لا تفعل ذلك. ومثله قوله في حديث الوصية : أهجر. أو : أيهجر ؟ في رواية من

---

9) قوله ابو علي الحسين المعروف في كنيته ابو عبد الله وبذلك كذه المؤلف في الغنية فلعل م هذ سبق قلم اهـ مصححه.

رواه. بمعنى يهذى. أى أنه لا يهجر ولا يصح أن يهجر. وهو معصوم من أن يقول ما لا حقيقة له. وأنه لا يقول في الصحة والمرض واليقظة والنوم والرضى والغضب إلا حقا. وهذا كله صحيح من جهة المعنى (الهمزة مع الباء) (ا ب د) قوله عليه السلام أن لهذه البهائم أو ابد كأوابد الوحش) معناه نوافر وشوارد يقال : أبدت تأبد وتأبد. إذا توحشت (وقوله) بل لا بد. أبد ويروى : لا بد الابد أى آخر الدهر.

خطبــــة كتـــــاب :

(مطالع الأنوار على صحايح الآثـــــار)
لأبي إسحاق ابن قرقـــول

نقلا من مخطوط السفر الأول من مطالـــع
الأنوار لابن قرقـــول

بخزانة الجامع الأعظم بمكنـــــاس
رقـــم (165)

خطبة مطالع الأنوار لابن قرقـــول :

بسم الله الرحمان الرحيم. وصلواته على سيدنا محمد وآله...

الحمد لله مظهر دينه على كل دين. وحافظه من شبه المبطلين. وباعث رسوله الأمين إلى كافة الخلق أجمعين. بكتابه الحق المبين.... بالإعجاز حروفه ومعانيه. محفوظة بالبلاغة والإيجاز أساليبه ومبانيه. فما قدر العدو الجاحد على الحاق خلل به. بتبديل لفظة من ألفاظه ولا تغيير معنى من معانيه. مع كثرة الجاحد الجاهد على إطفاء نوره. وظهرة المعادي المعاند لظهوره. حفظا من الله تعالى كما وعد. وتعجيزا لمن رام ذلك ممن عاند وجحد. قد بين سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. من مناهج دينه وشرعته. ما وكل نفي التحريف عنه. إلى عدول أعلام الهدى من أمته. فلم يزالوا يذبون عن حمى السنن ويقومون لله تعالى بهديهم القويم الأحسن. وينبهون على كل من (يتهم بهتك) حريمها. ومزج صحيحها بسقيمها. حتى بان الصدق من المين. وتميز الصحيح لذي عينين. وتبين الخبيث من الطيب. وتبين الرشد من الغي. واستقام بحمد الله ميسم الصحيح. وأبدى الرغوة عن الصريح. ثم نظروا بعد هذا التمييز العزيز والتصريح المريح. نظرا آخر فيما يقع (لآفة) البشرية ثقات الرواة من وهم وغفلة. فنقبوا عن أسبابها. وهتكوا (سجف) حجابها. إلى أن وقفوا على سرها. ووقعوا على خبيئة أمرها.

فأبانوا عللها وقيدوا مهملها. وأقاموا محرفها. وعاينوا سقيمها. وصححوا مصحفها. وأبرزوا في ذلك تصانيف كثرت صنوفها وظهر شفوفها. واتخذها العالمون قدوة. ونصبها العالمون قبلة. فجزاهم الله عن سعيهم الحميد أحسن ما جازى به أحبار ملة وعلماء أمة. ثم كلت بعدهم الهمم وقلت الرغائب. وضعف الطالب والمطلوب. وقل (القائم مقامهم في المشارق والمغارب) وصار جهد (المبرز في علم السنن (النقل) لما أثبت في كتابه وأداء ما قيد فيه دون معرفة بخطئه من صوابه.

إلا آحادا من مهرة العلماء وجهابذة الفقهاء، وأفراد الدرارى نجوم السماء، ولعمرى الله ان هذه بعد لحظة أعطى صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم. المتصف بها حظه من الأجر وقسطه، إذا وفى عمله شرطه، وأتقن حفظه وضبطه. كما حدثنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري قراءة عليه، حدثنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، حدثنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد بن محمد، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة المروزي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، حدثنا محمد بن عيسى السلمي الحافظ، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، قال : أخبرني عمر بن سليمان من ولدى عمر بن الخطاب قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، فدعا صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن سمع منه حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، وقد كان فيمن تقدم، من سلك هذا السبيل من الإقتصار على أداء ما سمع ووعى، وتبليغ ما قيد وروى، دون تكلف ما لم يحط به علما، من تبديل لفظ أو تأويل معنى. وهذه رتبة أكثر الرواة والمشايخ المتقدمين. وأما الإتقان وجودة المعرفة ففي الأعلام منهم والأئمة المشهورين. ثم تساهل الناس بعد، في الحمل والأداء، فأوسعوه اختلالا ولم يألوه خبالا. وربما شاهدنا الشيخ المسموع بشأنه وثنائه، المتكلف شاق الرحلة. إلى لقائه (تنتظم به) المحافل (ويتناوب الأخذ عنه) ما بين نبيه وخامل، وفقيه وجاهل، حضوره كعدمه، وبناؤه كهدمه، كتبه مهملة من التقييد والضبط مسجلة من غير شكل ولا نقل، ثم لا وعى ولا حفظ، ولا نصيب لشيء من العناية مما يتعاطى من الرواية ولا حظ، سوى لقيت فلانا وأجازني فلان، وسمعت على فلان. وكله (أو) أكثره زخارف وهذيان، لا تحصيل ولا توصيل. إن يسأل عن تعبير لفظ أو تحقيق معنى، جبه السائل وعاب المسائل، أو طولب بتأويل مشكل أو إقامة إعراب،

طوى الكتاب وسد الباب وهجر الأصحاب وزعم أن البحث والطلب من سوء الأدب، قد حمى حمى جهله بالنجه وتقطيب الوجه. فلا جرم بحسب هذا الخلل وتظاهر هذه العلل في كثير من أشياخ الرواية، المحرومين نظر المعرفة والدراية. المريحين أنفسهم من كد البحث، كثر في كتب الحديث التغيير والفساد. تارة في المتن وتارة في الإسناد. وشاع التحريف واتسع التصحيف وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها، وعم أصول المصنفات مع فروعها.

فلولا أن الله سبحانه قيض لإقامة أودها ومعاناة رمدها، صبابات من أهل الإتقان في كل زمان، لاستمر على الكافة تحريفها واستقر في موضوعات السنن بتبديل الجهلة تحريفها وتصحيفها. لكن قول الرسول عليه السلام حق، ووعد الله تعالى إياه صدق، كما حدثنا الفقيه أبو القاسم أحمد بن محمد بن بقى والشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن موهب الجذامي، قالا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز المكي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين، حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة، حدثنا سعيد بن عبد الجبار الحمصي، حدثنا معاد بن رفاعة السلامي، حدثنا ابراهيم ابن عبد الرحمان العذري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». فلذلك ما انتهض الجهابذة النقاد مع مرور الأزمان واختلاف البلدان، إلى حراسة ذلك بقدر ما أوتوه من العلم والبيان والتبريز في علم اللسان، فمن بين غال ومقصر، ومقلد ومستبصر، وعارف مدرك ومتكلف مرتبك، فمنهم من جرؤ وجسر، وأقدم على إصلاح ما غير، على حسب ما بدا له وظهر، كل بمنتهى علمه وقدر إدراكه، فربما كان غلط بعضهم في ذلك أبشع من استدراكه، ولأن باب التغيير للرواية متى فتح لم يوثق بعد بتحمل منقول، ولم يؤنس على اعتداد بمسموع، مع أنه قد لا يسلم له ما رواه ولا يوافق على ما أتاه، إذ فوق كل ذي علم عليم، ولهذا رأى المحققون سد باب نقل الحديث

على المعنى وشددوا فيه. وهو الحق الذي اعتقده. والشرع الذي أذب عنه وأتقلده. إذ باب الإحتمال متسع. وظاهر الكلام للتأويل معرض. وأفهام البشر مختلفة. وآراؤهم متفرقة. والمرء مفتون بكلامه. ومغتبط بفهمه واستدلاله. والمغتر يعتقد الكمال لنفسه. فلو فتح هذا الباب وتسومح في نقل السنن منها لذوي الألباب على معنى ما ينفهم. لتغير المسموع ولم يتحقق أصل المشروع. ولم يكن الآخر بالحكم على كلام الأول. بأولى من كلام من بعده عليه. فيتعارض التأويل وتتهافت الأقاويل. وكفى حجة على دفع هذا الرأي الاقيل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن سمع قوله فأداه على حسب ما وعاه. ففيه حجة وكفاية تدفع رأي من رأى تبديل لفظ الرواية. بل نقلها على ما سمعها هو الواجب. ثم تسليم التأويل لأهل الفهم والفقه لازم. فهم أحق بالتأويل. وأهدى إلى السبيل. كما قال عليه السلام : «رب حامل فقه ليس بفقيه. ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ومن التنبيه على اختلاف منازل الناس في الفقه وتفاوتهم في الفهم. فتعين الصواب من هذين الرأيين. في رأي من رأى إقرار الرواية والسماع على ما روى وسمع. فإن رزق فضل فهم وزيادة فقه. نبه على ما ظهر له منها من خلل. من غير أن يغير فيها أو يبدل.

فيجمع بين الأمرين ويترك لمن جاء بعده النظر في اللفظين. وهذه كانت طريقة السلف فيما ظهر لهم من الخلل. كانوا يوردونه كما سمعوه. وينبهون عليه في حواشي كتبهم لمن جاء بعدهم. ومنهم من كان يسقط ما بان له اختلاله مما لا شك فيه. ويبقى مكانه من الكتب أبيض. وقد وقع من ذلك في مصنفات السنن ما سنوقف إن شاء الله عليه. ونشير في مكانه إليه. وهي الطريقة السليمة ومذاهب الأئمة القويمة. وأما الجسارة فربما عادت بخسارة. فكثيرا ما رأينا من نبه بالخطأ على الصواب. وتولج المنزل من غير الباب. كما قد فعل الشيخ أبو عبد الله محمد ابن وضاح في كثير من اصطلاحاته على يحيى بن يحيى رحمه الله روايته في الموطأ. فصار هو في أكثرها المخطأ المبطأ. وكذلك ما تجاسر عليه القاضي أبو

الوليد هشام ابن أحمد الوقشي رحمه الله. من إصطلاحاته في الصحيحين وفي استدراكه على ابن اسحاق في سيره. فبحسب هذه الإشكالات والإهمالات الواقعة في مصنفات الحديث الثلاثة التي هي كتب الإسلام الحاوية لمعظم شرائعه وسننه في أحسن تصنيف وأبدع نظام. التي هي الموطأ وصحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله. انتدبت إلى بيان ما سمح به ذكري واقتدحه فكري. ووعاه حفظي. وانتهى إليه قسمي من هذا العلم وحظي. بعد أن استخرت الله سبحانه فيما نويت من ذلك وسألته التوفيق والإرشاد إلى طريق السداد. واقتصرت على هذه المصنفات المذكورات. إذ هي الأصول المشهورات المتداولات بالرواية. المتعقبات بالتفقه فيها والدراية. فهي أصول كل أصل ومنتهى كل غاية في هذا الباب وفصل. عليها مدار أندية السماع وبها عمارتها. وهي مبادىء علوم الآثار وغايتها. ومصاحف السنن ومذاكرتها. وأحق ما صرفت إليه العناية وشغلت به الهمة. ولا أعلم أن أحدا قبلي ألف على مجموع هذه المصنفات كتابا مفردا تقلد عهده ما تقلدته من بيان مشكلها وتقييد مهملها ووسم مقفلها. وشرح ألفاظ غريبها. وضبط أسماء رجالها. وإزاحة اشكالها. إلى ما بينت من اختلاف نقلتها في ألفاظ متونها وأسماء رواتها.

ثم لما أجمع عزمي على النظر في ذلك والتفرغ للتذكير والتعليم. ثم للخاصة للرواية والتسميع. رأيت ترتيب هذا الغريب على حروف المعجم أقرب وأفهم. وأخلص من التكرار للألفاظ بحسب تكررها في هذه الأمهات. وأسلم تيسيرا على الطالب ومعاونة للمجتهد الراغب. فإذا وقف قارىء حصيف من هذه المصنفات على لفظ غريب أو كلمة مشكلة أو اسمية مهملة. فزع إلى الحرف الذي في أوله : إن كان صحيحا طلبه في الصحيح. وإن كان مضاعفا أو معتلا أو مهموزا طلب كلا في بابه. ونسقت أبوابه على نسق حروف المعجم عندنا بالمغرب. وبدأت في أول كل حرف منه بالألفاظ الواقعة في متون الأحاديث دون أسماء الرجال والبقاع. وهكذا حرفا بعد حرف إلى آخر الحروف. مقيدا كله بما يعصمه الله من التغيير والتصحيف والتبديل والتحريف. ليكون عصمة لمن اعتصم به وعياذا لمن لجأ إليه

من أصحابي الآخذين عني. فمن فاته شيء من التقييد عني بغفلة أو نسيان أو تضييع وإهمال. استدركه من هذا الكتاب إن شاء الله. ثم ليتعلم قارىء هذا الكتاب أني لم أضعه لشرح اللغات وتفسير المعاني وتبيين وجوه الاعراب. بل لحفظ الرواية وتقييد السماع وتمييز المشكل وتقييد المهمل. وفتح ما استغلق من تلك اللغات. وتوجيه ما اختلفت فيه الروايات. وجذب منآدهم إلى جهة الصواب. على قدر ما فتح لي من فهم هذه الأبواب. فإن أمضى الله عز وجل وبلغني من غاية قصدي وكمل لي هذه الأغراض في مداواة تلك الأمراض. رجوت ألا يبقى على طالب معرفة هذه الأصول المذكورة إشكال. وأن سيغنى الناظر فيه بما يقف عليه منه. عن الرحلة إلى متقنى أهل هذه الصناعة ان ظهر في قطر من الأقطار. بل يكتفى إن شاء الله بمقابلة كتابه بكتاب قرىء علي. أو سمع. مما يجد عليه خط يدي. ثم إن أشكل عليه لفظ وجد بيانه فيه. إلا ما لا بد فوته بحكم البشرية التي منعت الإحاطة والكمال وألزمت الغفلة والنقصان. والخطأ والذهول والنسيان.

فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي. كما يلجأ إليه الحافظ الواعي. ويتدرج به المبتدي كما يتذكر به المنتهي. ويضطر إليه طالب التفقه والإجتهاد. كما لا يستغني عنه طالب الرواية والإسناد. ويحتج به الأديب في مذاكرته. كما يعتمده المناظر في محاضرته. وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة قدره. ويوفيه أهل الإنصاف حقه. فإني نخلت فيه معلومي وبثثته مكتومي وأودعته محفوظي ومفهومي. وسمحت فيه بمصونات الصناديق والصدور. وبمكنونات المهارق والصدور. بما لا يبيحون خفي ذكره لكل ناعق. ولا يبوحون بسره إلا لطالبي الحقائق. ولا يرفعون راية إلا لمتلقيها باليمين. ولا يكشفون منها غاية إلا لثقة أمين. وإلى الله ألجأ في تصحيح عملي ونيتي. وإليه أبرأ من حولي وقوتي. ومنه أستمد التوفيق والهداية وإياه أسأل العصمة والوقاية. إنه منعم كريم ذو فضل عظيم. **وقد سميته** بمطالع الأنوار على صحايح الآثار. وما توفيقي إلا بالله. عليه توكلت وإياه استعنت. فهو خير معين وأقوى ظهير.

فهرس الجزء الثالث
من دورة القاضي عياض

صفحة

رقم الإيداع القانوني 313 / 1983

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

1404 هـ ـ 1984م